وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل الطالب1: 35090962

رقم التسجيل الطالب 2: .....

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

البعد الإنساني والبيئي في رواية "العودة إلى الأرض"

لعبد الهادي سعدون

إعداد الطالبة:
علية روفيدة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	جامعة	الصف
أحمد أمين بوضياف	أستاذ	المسيلة	رئيسا
د. زكري بحوص	أستاذ	المسيلة	مشرفا ومقررا
بشير بختي	أستاذ	المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025م-2026م



شكـــــر وعرفـــــان

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وأعانني على إنجازه، فله الحمد أولا وآخرا.

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف (الدكتور زكري بحوص)، الذي تفضل بالإشراف على هذه الدراسة، ولم يبخل علي بتوجيهاته العلمية السديدة ونصائحه القيمة، فكان خير معين لي طوال مراحل إعداد هذا البحث. فله مني أسمى عبارات التقدير والاحترام على ما بذله من جهد وصبر ومتابعة.

كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، لتفضلهم بقبول قراءة هذا العمل ومناقشته، وإثرائه بملاحظاتهم العلمية القيمة التي من شأنها أن تسهم في تطويره وتحسينه.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتنا الكرام الذين أفادوني من علمهم ومعارفهم طوال مساري الدراسي،

وإلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

أسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يجعل ما قدموه في ميزان حسناتهم.



إهـــــــــداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبه تكتمل المساعي وتدرك الغايات.

أهدي هذا العمل المتواضع الى أمي الغالية التي كانت دعواتها تسبق خطواتي، والنور الذي يضيء عتمات الطريق.

والى صاحب الفضل أبي الغالي سند العمر وأمان الحياة أهديه ثمرة هذا الجهد تقديرا لعطائه وعرفانا بجميله الذي تعجز الكلمات عن إيفائه حقه.

إلى خالي الغالي رحمه الله، الذي غاب جسدا وبقي أثره شاهدا على طيب معدنه ونبل أخلاقه، إلى روحه أهدي هذا الإنجاز، راجية من الله أن يبلغه من رحماته ما تقر به عينه في دار الخلود.

وإلى عائلتي شركاء الرحلة إلى من كان وجودهم في حياتي نعمة، ودعاؤهم زادا، ومحبتهم قوة أستعين بها على مصاعب الحياة

أهديكم هذا النجاح الذي يحمل بين سطورة شيئا من فضلكم.

مقـــدمـــة

مقدمة:

يشهد الأدب الروائي المعاصر في الألفية الثالثة تحولات بنيوية وعميقة، فرضتها الطفرات الحضارية والتكنولوجية المتسارعة التي أعادت تشكيل الوعي الإنساني وصاغت علاقة جديدة بين الذات والعالم. بل أصبح فضاء رحبا للتأمل والتفكير وإعادة مساءلة الواقع ذاته. فقد انتقل السرد الروائي من وظيفته التقليدية القائمة على الحكاية إلى وظيفة أكثر تعقيدا، تتمثل في استشراف المستقبل، وطرح الأسئلة الكبرى المتعلقة بمصير الإنسان داخل عالم يتغير بسرعة غير مسبوقة، تتداخل فيه الآلة مع الحياة اليومية، وتتراجع فيه بعض القيم الطبيعية أمام هيمنة التقنية والعلم. ومن رحم هذه الهواجس الوجودية والمخاوف الأنطولوجية، برز أدب الخيال العلمي في الساحة الأدبية المعاصرة، كجنس أدبي قادرا على تفكيك معضلات العصر الراهن، ومواجهة الأزمات الفلسفية والأخلاقية الناجمة عن التقدم العلمي الجاف. إنه جنس عابر للحدود الفاصلة بين الواقع المعيش والممكن المستقبلي، يمتلك القدرة على إثارة أسئلة الوجود الكبرى، وإعادة فحص علاقة الإنسان ببيئته في ظل التغيرات المناخية والبيئية والتقنية الشاملة. فصار هذا الأدب بمثابة صرخة تحذيرية تستشرف ما تؤول إليه البشرية إذا ما انسلخت عن جذورها الطبيعية.

ومن هنا تأتي رواية "العودة إلى الأرض" للكاتب والمترجم العراقي "عبد الهادي سعدون" كنموذج سردي متفرد ومتميز، يغوص عميقا في بنية الهواجس المستقبلية، ويتخذ النص من ثنائية الإنسان والبيئة موضوعا وبؤرة ارتكاز أساسية، لإعادة قراءة الرهانات الوجودية والبيئية الصعبة التي تواجهها البشرية. لتكتسي هذه الدراسة أهمية بالغة من كونها تسلط الضوء على تداخل حقلين معرفيين ونقديين متمايزين في آن واحد: "البعد الإنساني"، و"البعد البيئي" الذي يدرس علاقة الإنسان بمحيطه الحيوي. وتكمن القيمة العلمية للمذكرة في محاولة كشف كيف استطاع السرد الخيالي العلمي عند "عبد الهادي سعدون" أن يحول قضايا البيئة والوجود الإنساني من مجرد تقارير جافة إلى رؤية جمالية وفلسفية ممتعة ومؤثرة في المتلقي.

وقد كان وراء اختيارنا لهذا الموضوع جملة من الأسباب، قسمناها إلى موضوعية وذاتية، فمن الأسباب الموضوعية: وتتمثل في الرغبة في ارتياد آفاق نقدية جديدة تبحث في أدب الخيال العلمي العربي، وهو جنس أدبي ما زال يفتقر إلى الدراسات النقدية الممنهجة مقارنة بغيره، فضلا عن السعي وراء إبراز دور الرواية العربية المعاصرة في التفاعل مع القضايا الكونية كالتدهور البيئي وأزمة الإنسانية. أم الأسباب الذاتية فتكمن في شغفي الشخصي بأدب الخيال العلمي، بالإضافة إلى الرغبة في تقديم إضافة علمية متواضعة للمكتبة الجامعية تشتبك مع معضلات الإنسان المعاصر.

وبالرغم من القيمة الإبداعية المتميزة لرواية "العودة إلى الأرض"، إلا أن الاستقراء البيبليوغرافي كشف عن عدم توفر دراسات نقدية وأكاديمية التي أفردت لها بحثا مستقلا، وإضافة إلى الدراسات التي جمعت بين الشقين الإنساني والبيئي تحت مظلة الخيال العلمي، مما جعل هذا البحث محاولة ريادية في بابه. ومن هنا، تتبلور الإشكالية المركزية لهذه المذكرة في السؤال الرئيسي التالي:

– كيف تجلى البعدان الإنساني والبيئي في رواية "العودة إلى الأرض" لعبد الهادي سعدون؟ وكيف استطاع الكاتب توظيف آليات الخيال العلمي لصياغة رؤية نقدية تستشرف مصير الإنسان وعلاقته بطبيعته وأرضه؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية منها: ما هي خصائص الخيال العلمي وكيف تمايز عن غيره في النص؟ وكيف انعكس المنظور الإنساني والبيئي على بنية الشخصيات والفضاء السردي في الرواية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وتفكيك مفاصل النص، اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لما يتيحه من إمكانية تتبع الظواهر الإنسانية والبيئية المهيمنة في الرواية (الإنسان، الأرض، البيئة) وتحليل تجلياتها النصية.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع المعالج تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وفصلين تنبثق عنهما مباحث محددة، ثم خاتمة: ففي الفصل الأول عني بثلاثة مباحث؛ تناولنا في المبحث

الأول الخيال العلمي من حيث تعريفه، خصائصه، وتمييزه عن الأنواع الأدبية الأخرى المجاورة له. وجاء المبحث الثاني ليتناول البعد الإنساني، تعريفه وأهميته الحيوية في الأدب. في حين خصصنا المبحث الثالث لضبط مفهوم البعد البيئي وتجلياته العامة في الرواية. أما الفصل الثاني (الشق التطبيقي والتحليلي) وتضمن بدوره ثلاثة مباحث؛ خصص المبحث الأول لدراسة شخصيات الرواية من منظور إنساني. وتناول المبحث الثاني تحليل البعد البيئي بشقيه (الطبيعي والاجتماعي) داخل الفضاء الروائي. لينتهي المبحث الثالث بالربط بين البعدين البيئي والإنساني.

وقد استندنا في إنجاز هذا العمل على عدة مصادر ومراجع متنوعة، يأتي في مقدمتها الرواية محل الدراسة، إلى جانب معاجم لغوية كمعجم "لسان العرب" لابن منظور، ومؤلفات أدبية أثرت الجانب النظري، منها كتاب "أدب الخيال العلمي وقصص الأطفال" لعبد الناصر الشبراوي، وكتاب "مجاز العلم: دراسات في أدب الخيال العلمي" لسمير الديوب، بالإضافة إلى كتاب "آفاق أدب الخيال العلمي" لروبرت سكولز وآخرين، وغير ذلك من الدوريات والمقالات.

ولم يخل هذا البحث من عقبات وصعوبات، ولعل أبرزها أن الموضوع لم يدرس من قبل بشكل مستقل ومباشر، مما وضعنا أمام تحدي الندرة والقلة في المراجع التي تناولت هذه الرواية بالذات،

وفي ختام هذه المقدمة، لا يسعنا إلا أن نتوجه بخالص الشكر والامتنان، وأسمى عبارات التقدير والإجلال إلى الأستاذ المشرف الفاضل (الدكتور زكري بحوص) الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة، ونصائحه السديدة، وصبره الطويل طيلة فترة إنجاز هذا البحث، فكان لنصحه الأثر البالغ في تقويم اعوجاج العمل وتصويب مساره، فله مني كل الثناء والتقدير؛

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفصل الأول:الإطار النظري لأدب الخيال العلمي

المبحث الأول: الخيال العلمي وأبعاده

المبحث الثاني: البعد الإنساني في الأدب

المبحث الثالث: البعد البيئي في الأدب

المبحث الأول: الخيال العلمي وأبعاده

تعد الرؤية الاستشرافية المادة الأساسية التي يقوم عليها أدب الخيال العلمي، وهو أدب تجاوز اليوم حدود الفانتازيا التقليدية، في ظل ما أحدثته الثورة العلمية والصناعية والرقمية من تحولات عميقة في الفكر الإنساني والعلوم الإنسانية. فقد أعادت هذه التحولات تشكيل مفهوم الإبداع الأدبي، فلم يعد قائما فقط على الإلهام والخيال، بل أصبح مرتبطا بالقوانين العلمية والنظريات الفيزيائية التي تفتح آفاقا جديدة لفهم الزمن والكون. ولم تعد القصص التي تتناول غزو الفضاء أو العيش على القمر أو حروب النجوم أو إمكانية الحياة تحت الماء مجرد خيالات موجهة للتسلية، بل تحولت إلى تصورات أكثر واقعية تتقاطع مع التفكير العلمي الحديث. وبذلك لم يعد الخيال العلمي حكرا على الترف الأدبي أو المتعة القرائية، بل أصبح جزءا من التفكير الإنساني المعاصر، لأنه يعكس مستقبل العلم ويواكب تطوراته، ويجسد العلاقة المتنامية بين النظرية العلمية والتطبيق العملي.

المطلب الأول: تعريف الخيال العلمي

– لغة:

أصل الخيال القوة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة وفي القلب، ثم استعمل في صورة كل أمر متصور، وفي كل دقيق يجري مجرى الخيال.[1]

وورد عند ابن فارس أن الخيال هو الشخص، وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه ويتلون وخيلت للناقة، إذا وضعت لولدها خيالا يفزع منه الذئب، وتخيلت السماء، إذا تهيأت للمطر، ولابد أن يكون عند ذلك تغير اللون، والمخيلة، السحابة، وخيلت على الرجل تخيلا.[2]

[1] محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر بيروت–لبنان، 1994، (مدة خيل)، مج/14، ص221.

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجل، ط/01، 1991، (مدة خيل)، مج/2، ص 235–236.

- اصطلاحا:

عرف الفلاسفة وعلماء النفس، الخيال بقولهم: "إن الخيال ملكة من ملكات العقل، بها تمثل أشياء غائبة كأنها ماثلة حقا لشعورنا ومشاعرنا".[1]

فالخيال هو تشكيل صور ذهنية تقوم على الغرابة والمفارقة المضحكة، ويطلق المصطلح على عمل أدبي تدور حوادثه مثلا في عالم لا وجود له ولا واقعية، مثل بلاد الجان. أو تتضمن شخصيات غير قابلة للتصديق ويعتبر القصص العلمي والحكايات الطوبوية أشكالا تمت الى الخيال الجامح.[2]

فقد عرف فينكي (Vinake، 1979) الخيال بأنه "عملية ذهنية تستمد عناصرها من الخبرات والعمليات الشعورية، وتتضمن في بنيتها جوانب من التصور والتفكير والتخيل، بما يتيح للفرد بناء صور وأفكار تتجاوز حدود الواقع المباشر".[3]

كما يرى كل من كارل وشارلوت بوهلر (Karl & Charlotte Bühler) أن الخيال يمثل "قدرة فطرية لدى الإنسان تنمو وتتطور تدريجيا مع مرور الوقت، وهو لا يرتبط ارتباطا مباشرا بظروف الحياة أو أساليب التربية، كما لا يعد مجرد انعكاس للواقع الخارجي، بل يمثل تعبيرا عن الحالات الذاتية للفرد، وما يختلج في نفسه من رغبات ومخاوف وقلق وانفعالات مختلفة".[4]

ويعرف جابر عبد الحميد (1981) الخيال بأنه "عملية عقلية تقوم على إعادة تنظيم الخبرات السابقة وإقامة علاقات جديدة بينها، بحيث تتشكل منها صور وأفكار مبتكرة لم يسبق

---

[1] سمر روحي الفيصل: أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية، دراسة من منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ب، 1998، ص5.

[2] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط/01، تونس، 1986، ص 156.

[3] عبد الناصر الشبراوي: أدب الخيال العلمي وقصص الأطفال، دار جوانا للنشر، مصر، 2014، ص 12.

[4] علاء أمين المفتي: أثر قصص الخيال العلمي في تنمية مهارات التفكير لدى الأطفال، رسالة ماجستير في تخصص تربية الطفل، كلية التربية، جامعة عين الشمس، مصر، 2004، ص 14.

للفرد أن خبرها أو ألفها من قبل".[1] ومن هذا المنطلق، يؤدي التخيل دورا مهما في الربط بين خبرات الفرد الماضية وواقعه الحاضر وتطلعاته المستقبلية، مما يجعله وسيلة فاعلة لفهم الواقع واستشراف ما يمكن أن يكون عليه المستقبل.

- تعريف الخيال العلمي:

يعرفه مجدي وهبة بأنه: "يعالج بطريقة خيالية استجابة الانسان لكل تقدم في العلوم والتكنولوجيا. ومن موضوعاته أيضا، الى جانب رحلات الفضاء والحياة على الكواكب الأخرى، تصويره وما يمكن أن يتوقع من أساليب حياة على كوكبنا هذا بعد تقدم بالغ في مستوى العلوم والتكنولوجيا.[2] أي يوظف لاستشراف أثر التقدم العلمي والتكنولوجي في حياة الإنسان، من خلال تصور أنماط الحياة المستقبلية واستكشاف إمكانات التطور العلمي داخل الأرض وخارجها.

ويعرفه رؤوف وصفى على أنه أدب يهدف إلى عرض الحقيقة العلمية بأمانة وصدق وبنظرة مستقبلية، وإن تغلفت بغلاف له تألق وبريق القصة. وهو يعالج أيضا الأفكار الاجتماعية والعلمية بشكلها الصرف الخالص. وليس من هدف أدب الخيال العلمي التنبؤ بالمستقبل، بل إنه يقوم بشيء أهم من ذلك بكثير، فهو يحاول أن يصور لنا المستقبل الممكن.[3] فالخيال العلمي يقوم على حقيقة علمية ثابتة، أو متخيلة عن جانب مجهول في حياتنا أو في الكون، زمنها انكفائي أو استشرافي، وشخصياتها رقمية أو حقيقية، ومكانها خيالي، تقدم إجابات لأسئلة تتعلق بمصير الإنسان، والكون.[4] أي يستند إلى حقائق علمية أو افتراضات علمية

[1] جابر عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي، دار لنهضة العربية، القاهرة–مصر، 1981، ص 92.

[2] مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1968، ص 53.

[3] محمود قاسم: الخيال العلمي أدب القرن العشرين، الدار العربية للكتاب، مطبعة سياك، تونس، 1993، ص: 22.

[4] سمير الديوب: مجاز العلم دراسات في أدب الخيال العلمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق–سوريا، 2016، ص 20.

ممكنة، ويهدف إلى استشراف المستقبل المحتمل للإنسان والكون، من خلال توظيف الخيال في معالجة قضايا علمية واجتماعية وفلسفية ضمن إطار سردي يجمع بين المعرفة والمتعة.

عرفت آمال بدوي في دراستها سنة 1996 الخيال العلمي بأنه نوع من الأدب الروائي القائم على أسس علمية، يستند إلى الاكتشافات العلمية والتغيرات البيئية والتطورات التكنولوجية المتوقع حدوثها في المستقبل القريب أو البعيد، كما يتناول موضوعات مثل رحلات الفضاء وإمكانية وجود حياة على كواكب أخرى.[1]

كما تقترح "مها مظلوم" تعريفا أكاديميا لرواية الخيال العلمي، حيث ترى أنها رواية مستقبلية تستند أحيانا إلى حقائق ثابتة، وأحيانا أخرى إلى تصورات متخيلة حول جانب مجهول من الكون والحياة. وتكون شخصياتها غالبا رمزية أو رقمية، غير مكتملة التكوين النفسي والجسدي، كما تنقل زمن الخطاب الروائي، في الغالب، إلى زمن مستقبلي أو استرجاعي متخيل، وإلى فضاء مكاني خيالي. وتتسم أحداثها بالإثارة والتشويق، بما يدفع القارئ إلى التأمل في نتائج هذا الخيال العلمي الموجه، إذ تقدم تصورات لحلول مستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه الحياة في ظل التطور العلمي المتسارع، كما تنبه إلى المخاطر المحتملة لتطبيق النظريات العلمية دون تقدير عواقبها. وبذلك تجمع هذه الرواية بين عنصرين أساسيين هما العلم والأدب.[2] إن هذا التعدد في المفاهيم والتعريفات المرتبطة بالخيال العلمي يدفعنا إلى القول بأنه أدب يربط بين الحاضر والماضي من جهة، وبين الحاضر والمستقبل من جهة أخرى، مما يتيح للإنسان إدراك خصمه الحقيقي المتمثل في الزمن وتحولاته كما هي في الواقع. كما يعد هذا النوع من الأدب أدبا إنسانيا تتلاشى فيه الحدود العرقية والفوارق الطبقية، ليقدم رؤية شمولية

[1] أمال محمد بدوي: فاعلية استخدام الخيال العلمي في تدريب الأطفال على التفكير العلمي وتنمية قيمهم العلمية، أطروحة دكتوراه في تربية الطفل، كلية البنات، جامعة عين الشمس، مصر، 1996، ص 7.

[2] مها مظلوم خضر: الراوي في روايات الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر – ضمن أدب الخيال العلمي، يرمم مطبوعات مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، مصر، 1999، ص 110.

للإنسانية تتجاوز الانتماءات الضيقة نحو أفق أوسع من التفاعل الإنساني.[1] فـيتضح من خلال هذه التعريفات أن الخيال العلمي يعد جنسا أدبيا يجمع بين المعرفة العلمية والخيال الإبداعي، إذ يستند إلى معطيات علمية واقعية أو افتراضية لاستشراف المستقبل واستكشاف المجهول. كما لا يقتصر دوره على التنبؤ بالتطورات العلمية والتكنولوجية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى مناقشة أبعادها الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية، مما يجعله أدبا يسعى إلى فهم علاقة الإنسان بالزمن والعلم والكون، ويقدم رؤى مستقبلية تحمل في طياتها التحذير والتوجيه والتأمل في مصير البشرية.

- خصائص وسمات أدب الخيال العلمي

يتميز أدب الخيال العلمي بجملة من الخصائص والسمات، حيث أشار كل من "الشاروني" و"قاسم" و"عزة الغنام" إلى أن هذا اللون الأدبي بدا في كثير من الأحيان أقرب إلى الفانتازيا، حيث امتزج فيه الخيال بالأسطورة والعجائبية أكثر من اعتماده على التفسير العلمي الدقيق. كما اتسم أدب الخيال العلمي بتكرار بعض الأفكار المحورية التي شكلت بنيته الفكرية، ومن أبرزها فكرتا «القلب» و«الدورة»؛ فالقلب يمثل انعكاسا للأوضاع الإنسانية والنفسية والاجتماعية، بينما تشير الدورة إلى اكتمال الزمن أو الوجود البشري وعودته إلى نقطة البداية، في تصور دائري للحياة والتاريخ.[2] ومن الخصائص البارزة أيضا أنه عبر عن مخاوف البشرية من التقدم العلمي وما قد يترتب عنه من نتائج سلبية تهدد الإنسان والمجتمع، إذ لم يكن العلم في هذه الأعمال دائما وسيلة للخلاص، بل قد يتحول إلى مصدر للقلق والدمار وفقدان القيم الإنسانية. لذلك ارتبط هذا الأدب بطرح تساؤلات أخلاقية وحضارية حول مستقبل الإنسان في

[1] عبد الكريم لطفي: أدب الخيال العلمي في التراث الشعبي العربي قراءة في كتاب الخيال العلمي في الأدب لمحمد عزام، مجلة الآداب واللغات، ع/01، الجزائر، 2024، ص 86.

[2] سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط/01، عمان–الأردن، 2006، ص 312.

ظل التطور التقني المتسارع[1]. إلى جانب ذلك، وظفت قصص الخيال العلمي للتعبير عن قضايا معاصرة واستشراف شكل الحياة في المستقبل، فكانت وسيلة لتصوير التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية المتوقعة، ومحاولة استباق ما قد يواجهه الإنسان من تغيرات في العالم القادم. كما جعل الأدباء من الخيال العلمي وسيلة لتحقيق أحلام البشرية في السعادة والرفاهية، من خلال تصور مجتمعات متطورة توفر للإنسان الراحة والأمن والتقدم[2].

والتنبؤ المقصود في أدب الخيال العلمي ديناميكي متحرك دوما. يقوم على أساس التغيرات، فيه يتميز الكاتب بقدرة كبيرة على التخيل مع وجود خلفية علمية كبيرة لدى كتابها. يستطيع أن يحذرنا من فوائد وأضرار تغيير النظم الاجتماعية حسب أساليب مختلفة، ويجعلنا أكثر إحساسا بأن قيمنا إنما هي نسبية، ويساعدنا على معرفة الأبعاد الخلفية والقانونية والسياسية للمشاكل الاجتماعية.[3]

وهو علم وأدب ينطلق من فرضية، أو نظرية علمية محلقا بالخيال الأدبي إلى آفاق مستقبلية، دافعه الطموح إلى تفسير الظواهر الغامضة الطبيعية والبشرية. فرواية الخيال العلمي مبنية على المعرفة، تبحث عن تعريف للإنسان، وبحث عن موقفه من الكون، فهو يهتم بالمشكلات التي تعترض الإنسان على الأرض كالمخاطر البيئية، والكوارث، والحروب، وكاتب الخيال العلمي ابن بيئته، وواقعه. والخيال الذي يجنح به نحو آفاق علمية متوقعة هو خيال يحكمه الواقع، ويوجهه حسب الضرورة. [4]

وأدب الخيال العلمي يجعل الإنسان أكثر إدراكا لوضعه الصحيح في المكان والزمان، فهو حينا ينطلق به إلى كواكب على أبعاد ضوئية ليرتاد أرضها ويستكشف مخلوقاتها المختلفة المرعبة تارة والمتفوقة علينا بذكائها تارة أخرى، تستغنى عن ضرورات لا نعيش بدونها أحيانا،

[1] سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، مرجع سابق، ص 312.

[2] مرجع نفسه، ص 312.

[3] محمود قاسم: الخيال العلمي أدب القرن العشرين، مرجع سابق، ص 24.

[4] سمير الديوب: مجاز العلم دراسات في أدب الخيال العلمي، مرجع سابق، ص 23-24.

وتدق أجسامها حتى تصبح مجرد طاقة أحيانا أخرى .. إلخ. وهو حينا آخر يجعلنا نقتحم قطرة ماء أو خلية حية أو ذرة من ذرات عنصر ما، كما كان يقتحم الشاطر حسن المكان المرصود بحثا عن كنز، ومن ناحية أخرى فإنه قد يصطنع آلة تتقهقر بنا إلى ماض قريب أو سحيق، أو تندفع إلى مستقبل بعد آلاف السنين أو ملايينها لتتنبأ بمستقبل البشرية بجانبية المظلم والمضيء. وهكذا فإن الخيال العلمي يجعل الإنسان أعمق فهما لمكانه ومكانته في الكون.[1]

فيتضح أن أدب الخيال العلمي يجمع بين الخيال والمعرفة العلمية، إذ ينطلق من الواقع العلمي ليتخيل تطوراته المستقبلية وآثاره على الإنسان والمجتمع. كما يعكس هذا الأدب مخاوف البشرية وآمالها تجاه التقدم العلمي، ويستخدمه لطرح قضايا إنسانية وأخلاقية تتعلق بمصير الإنسان في الكون.

المطلب الثاني: تمييزه عن الأنواع الأدبية الأخرى

- تمييزه عن الفنتازيا:

الفنتازيا تعرف بوصفها فنا أدبيا يقوم على تشكيل صور خيالية غير موجودة في الواقع، ويحرر السرد من منطق الحقيقة، بهدف إثارة الخيال وإحداث الدهشة لدى القارئ.[2] ويشترك هذا النوع مع الخيال العلمي في عنصر الإبهار والغرابة، مما يجعل الفصل بينهما صعبا في كثير من الأحيان، بل إن بعض النقاد يعدون الخيال العلمي فرعا من الفنتازيا. ويرجع أصول هذين النوعين إلى تصورات ومعتقدات قديمة ذات طابع خيالي، مثل السفر الروحي أو الإنسان الخفي أو الكائنات المصطنعة، وهي أفكار تطورت في الأدب الحديث لتأخذ طابعا علميا أو شبه علمي.[3] ومع ذلك، يشير النقد إلى ضرورة التمييز بينهما، إذ إن الخيال العلمي يرتبط

[1] يوسف الشاروني: الخيال العلمي في الأدب العربي حتى نهاية القرن العشرين، مكتبة الأسرة، القاهرة–مصر، 2002، ص 88.

[2] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، د.ت، ص 170.

[3] روبرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسن حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، 1996، ص 126.

بدرجة ما بالفكر العلمي وإمكاناته، بينما تقوم الفنتازيا على الانفصال عن الواقع والمنطق العلمي.

- تمييزه عن الأسطورة:

تلتقي الأسطورة مع أدب الخيال العلمي في عنصر الغرائبية والإدهاش، إذ يقدم كلاهما أحداثًا غير مألوفة تتجاوز منطق الواقع والعقل، إلا أن بينهما فروقا جوهرية. فالأسطورة ترتبط بتفسير نشأة العالم والظواهر الطبيعية والاجتماعية، وتسند هذه الأحداث إلى كائنات خارقة ذات طابع مقدس، كما تنتمي إلى زمن البدايات وتقدم رؤية دينية وتفسيرية للوجود، حيث تختلط فيها عناصر الدين والتاريخ والفلسفة[1]. أما أدب الخيال العلمي، فيتجه إلى خلق عوالم وأحداث غير موجودة فعليا في الواقع، لكنه لا يعزوها إلى قوى إلهية، بل يربطها بأسباب علمية أو بشرية محتملة، كما أن أبطاله بشر يمتلكون قدرات ناتجة عن العلم والتكنولوجيا لا عن قوى فوق طبيعية.[2] وبذلك، تتميز الأسطورة بطابعها المقدس والتفسيري للكون، في حين يعتمد الخيال العلمي على العلم والتقنيات الحديثة في بناء عوالمه المتخيلة.

- تمييزه عن القصة العلمية:

يحدث خلط بين مصطلحي أدب الخيال العلمي والقصة العلمية في النقد العربي، بسبب تعدد ترجمات مصطلح Science Fiction إلى العربية، مثل: القصة العلمية، الأدب العلمي، أو الخيال العلمي، مما أدى إلى استخدام هذه المصطلحات أحيانا بشكل مترادف. ويتمثل الفرق الأساسي بينهما في الهدف؛ فالقصة العلمية تهدف إلى شرح وتبسيط الحقائق والقوانين العلمية الثابتة عبر قالب قصصي مبسط، غالبا موجه لغير المتخصصين، مع الاعتماد على

[1] روبرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي، مرجع سابق، ص 139-140.

[2] محمد عبد الله الياسين: الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، أطروحة دكتوراه منشورة في اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، فلسطين، 2008، ص 17.

شخصيات علمية أو تاريخية معروفة، وأحيانا تشخيص الظواهر العلمية لتقريبها من الفهم[1]. أما أدب الخيال العلمي فيتجاوز الواقع العلمي القائم ليبني عوالم افتراضية أو احتمالية تعتمد على التطور العلمي أو ما يمكن أن يكون ممكنا مستقبلا، دون الالتزام بشرح القوانين العلمية بشكل مباشر.

- تمييزه عن الخرافة:

الخرافة حكاية ذات طابع أخلاقي واجتماعي تهدف أساسا إلى تقديم العبرة والموعظة، وتعتمد مثل أدب الخيال العلمي على عنصر الغرابة والإدهاش لجذب المتلقي وإثارة اهتمامه. ومع ذلك، توجد فروق جوهرية بينهما؛ فالخرافة نشأت وانتشرت شفهيا بين عامة الناس، وتركز على القيم الأخلاقية من خلال شخصيات شعبية بسيطة تمثل نماذج للخير أو الشر،[2] كما تتسم ببنية سردية بسيطة وتكثر فيها المصادفات والتدخلات القدرية والعناصر الخارقة[3]. أما أدب الخيال العلمي فهو أدب مكتوب يرتبط بالمعرفة العلمية والتطور التقني، ويعتمد على شخصيات ذات خلفيات علمية أو فكرية، ويهتم باستكشاف الإمكانات العلمية أكثر من تقديم العبرة المباشرة. كما أن بناءه السردي أكثر تعقيدا ويتطلب من القارئ قدرا من الثقافة العلمية لفهم أفكاره وتصوراته.[4] لذلك، ورغم اشتراكهما في إثارة الدهشة والخيال، فإن الخرافة تظل أقرب إلى الأدب الشعبي الأخلاقي، بينما يرتبط الخيال العلمي بالتفكير العلمي واستشراف المستقبل.

---

[1] محمد عبد الله الياسين: الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، مرجع سابق، ص 18.

[2] فريدريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية نشأتها مناهج دراستها فنيتها، تر: نبيلة إبراهيم، دار القلم، ط/01، بيروت–لبنان، 1983، ص 31–32.

[3] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مرجع سابق، ص 82.

[4] محمد عبد الله الياسين: الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، مرجع سابق، ص 18.

- أبعاد الخيال العلمي

لا يقتصر الخيال العلمي على تصوير الاختراعات المستقبلية أو التنبؤ بالتطورات العلمية فحسب، بل يتجاوز ذلك ليعالج قضايا متعددة تمس الإنسان والمجتمع والبيئة والقيم الإنسانية. فهو جنس أدبي يجمع بين المعرفة العلمية والتأمل الفكري، ويستثمر الإمكانات العلمية المتخيلة للكشف عن مشكلات الحاضر واستشراف ملامح المستقبل. ومن هذا المنطلق تتعدد أبعاد الخيال العلمي لتشمل البعد التكنولوجي والعلمي، والبعد الاجتماعي والإنساني، والبعد البيئي، والبعد الفلسفي والأخلاقي.

- البعد التكنولوجي والعلمي:

يقصد به اهتمام الخيال العلمي بعرض التطور في العلوم والتقنيات، مثل الروبوتات، الذكاء الاصطناعي، السفر إلى الفضاء، والتجارب العلمية المستقبلية. أي أنه يتخيل كيف يمكن للعلم أن يتطور وما الذي قد يترتب عنه في المستقبل.[1]

- البعد الاجتماعي والإنساني:

يهتم بدراسة انعكاسات التقدم العلمي والتكنولوجي على الإنسان والمجتمع، من خلال تناول القضايا الإنسانية والاجتماعية المرتبطة بالهوية والحرية والعلاقات الإنسانية والعدالة والقيم الأخلاقية. كما يطرح تساؤلات حول مستقبل الإنسان في عالم تهيمن عليه التكنولوجيا، ومدى قدرته على الحفاظ على إنسانيته وسط التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم.[2]

- البعد البيئي:

هو الخيال العلمي الذي يتناول التوابع المترتبة على التغيرات التي تطرأ على البيئة الطبيعية. وتصور معظم روايات الخيال العلمى عن البيئة العواقب السلبية لتدهور البيئة والتي

[1] ديفيد سيد، الخيال العلمي مقدمة قصيرة، تر: نيقين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي للنشر، ط/01، القاهرة–مصر، 2016، ص 49.

[2] عصام البهى: الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم، مكتبة الأسرة، مصر، 1999، ص 19–21.

يسببها التلوث وغيره من تغيرات في البيئة صنعها الإنسان. ومن ثم تؤدى هذه الروايات وظيفة تحذيرية، محاولة تنبيه القراء إلى الأخطار التي تكتنف الظواهر البيئية كارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية.[1]

- البعد الفلسفي والأخلاقي:

يتجاوز هذا البعد حدود العلم والتكنولوجيا إلى طرح أسئلة فلسفية وأخلاقية عميقة تتعلق بالوجود الإنساني ومستقبل البشرية. فهو يناقش قضايا مثل معنى الحياة والموت، وحدود المعرفة العلمية، ومسؤولية الإنسان تجاه اختراعاته، والعلاقة بين الإنسان والآلة، وإشكالية الخير والشر في استخدام التكنولوجيا. كما يسعى إلى استثارة التفكير لدى القارئ ودفعه إلى التأمل في القيم والمبادئ التي ينبغي أن تحكم مسيرة التقدم العلمي.[2] فيتضح من خلال هذه الأبعاد أن الخيال العلمي لا يقتصر على استشراف المنجزات العلمية والتكنولوجية فحسب، بل يمتد ليعالج قضايا الإنسان والبيئة والقيم الأخلاقية، جاعلا من المستقبل فضاء للتأمل في مصير البشرية. ومن ثم يشكل هذا الأدب وسيلة فنية تجمع بين المتعة الفكرية والوعي النقدي، عبر استكشاف التحديات التي قد تواجه الإنسان في عالم دائم التغير.

[1] كيث بوكر وآن ماري توماس: المرجع في روايات الخيال العلمي، تر: عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، ط/01، القاهرة–مصر، 2010، ص: 542.

[2] محمد العبد: البحث عن المغزى تجارب في قراءة النص، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة–مصر، 2012، ص 79–80.

المبحث الثاني: البعد الإنساني في الأدب

يعد البعد الإنساني في الأدب من أبرز المرتكزات التي تمنح النص الأدبي عمقه وخلوده، إذ ينطلق من الإنسان باعتباره محور التجربة الأدبية وغايتها الأساسية. فالأدب في جوهره مرآة تعكس هموم الإنسان وآماله وصراعاته، وتكشف عن أبعاده النفسية والاجتماعية والفكرية. ومن هذا المنطلق، يتجلى البعد الإنساني بوصفه رؤية فنية وفكرية تجعل من النص الأدبي فضاء للتعبير عن القيم الإنسانية المشتركة، واستكشاف علاقة الإنسان بذاته وبالآخر والعالم من حوله.

المطلب الأول: مفهوم البعد الإنساني في الأدب

- لغة:

الإنسان: مصدر صناعي مشتق من الأنس إنساني آدمي، من يجمع صفات الإنسان ومزاياه،[1] شخص خيري يحسن إلى الناس بماله وعمله،[2] وكلمة الإنسانية يراد بها جميع الأفراد الداخلين ضمن النوع البشري، فهو مصدر إضافي من إنسان الذي هو مشتق من الأنس.

- اصطلاحا:

الإنسانية اصطلاحا هي مذهب فكري وأخلاقي يضع الإنسان في مركز الاهتمام، ويعلي من قيمته وكرامته وحقوقه، ويهدف إلى خدمة الخير العام للبشرية وهي تقوم على الإيمان بأن الإنسان قيمة عليا تستوجب الاحترام، والسعي إلى تحسين أوضاعه المادية والمعنوية، وترسيخ

[1] رينهارت بيتر آن دوزي: تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، ط/01، 1989، ص 202.

[2] عمر أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط/01، مصر، 2008، ص 130.

مبادئ العدل والحرية والمساواة والتسامح بين الناس، كما تعنى الإنسانية بفهم الإنسان في جوانبه النفسية والاجتماعية والروحية، والعمل على الارتقاء به وتحقيق سعادته داخل المجتمع.[1]

وهي مجموعة من السلوكيات أو طريقة للحياة متمركزة حول الكرامة الأساسية وقيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل والمنهج التجريبي.[2] وعليه يمكن القول إن الإنسانية تعني تفكيك جميع الروابط التي تقيم التمايز بين الناس، وتقوم على إناطة أحكام الولاء والبراء والمحبة والنصرة والعداء بعلة واحدة هي صفة الإنسانية دون غيرها من الصفات الأخرى.[3] ويتضح من هذا التعريف أن الإنسانية تقوم على جعل الإنسان محور الاهتمام وقيمة عليا، بما يضمن احترام كرامته وحقوقه والعمل على تحقيق سعادته في مختلف جوانب حياته. كما تقوم على إرساء مبادئ العدل والمساواة والتسامح، وتجاوز كل أشكال التمييز، لتؤسس لرؤية شمولية تنطلق من وحدة الجنس البشري باعتبار الإنسانية هي الرابط الأساسي بين جميع الناس.

- أهميته في الرواية والأدب المعاصر

تتجلى أهمية الإنسانية في العصر الحاضر في إبراز جوهر الإنسان بوصفه كائنا غير ثابت بين الخير والشر، بل كائنا يقوم على تناقض وجودي بين طبيعته الغريزية ووعيه بذاته. فبدل النظرة المتفائلة القديمة التي كانت ترى الإنسان خيرا بطبعه وسهل التوجيه، أصبحت الرؤية الحديثة تؤكد على تعقيد الطبيعة البشرية وإمكاناتها المتناقضة. [4] حيث ترى أن جوهر

---

[1] بهاء الدين محمد مزيد: النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط/01، مصر، 2007، ص 52-53.

[2] أحمد ذيب: مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري، ورقة بحثية مقترحة بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة، الندوة العلمية الدولية الحادية عشر إنسانية الإنسان في السنة النبوية، يومي 8-9 مارس 2023، جامعة الوصل، الإمارات، ص 08.

[3] أسامة بلرهمي: الإنسانية في ميزان الشرع، مجلة دراسات اجتماعية، ع/02، الجزائر، 2020، ص 111.

[4] إيريك فروم: حب الحياة نصوص مختارة، تر: حميد لشهب، تق: راينر فونك، مؤسسة جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط/01، بيروت-لبنان، 2016، ص 152-154.

الإنسان يتمثل في وعيه بانفصاله عن ذاته وعن الطبيعة، مما يخلق لديه شعورا بالضياع والحاجة إلى تحقيق وحدة وجودية جديدة. وهذه الوحدة لا تتحقق بالرجوع إلى الحالة البدائية أو إلغاء الإنسانية، بل من خلال تطوير العقل والوعي والحب، بما يسمح للإنسان بالانسجام مع نفسه ومع الآخرين ومع الطبيعة[1].

ويعد الأدب مرآة للمجتمع تعكس فلسفته ودينه وثقافته وعاداته وأحداثه، وقد تجلت فيه عبر العصور ملامح النزعة الإنسانية التي امتزجت أحيانا بالقيم الفلسفية والدينية والصوفية. كما ظهر الأدب في بعض مراحله محملا بروح إنسانية واضحة تعكس اهتمامه بالإنسان وقضاياه. فسمي بالأدب الإنساني كونه يركز على القيم الروحية والأخلاقية، ويعالج معاناة الإنسان ويسعى إلى إبراز حقوقه داخل المجتمعات، ليصبح الإنسان محور العمل الأدبي وموضوعه الأساسي.[2] فالشعر الجاهلي تضمن ملامح واضحة منها رغم تفرقها داخل النصوص، وهو ما يعود إلى طبيعة الحياة البدوية وبنية القصيدة الجاهلية. فقد عالج الشعراء قضايا الإنسان ووجوده والحياة والموت، وارتبط مفهوم الخلود لديهم بالقيم الأخلاقية مثل الشجاعة وإكرام الضيف وصدق القول، باعتبارها وسيلة لبقاء الذكر. ومع مجيء الإسلام، تعززت هذه النزعة وتطورت بفعل القيم والتعاليم الجديدة، إضافة إلى التحولات الحضارية التي عرفها المجتمع الإسلامي.[3]

ثم اتخذت الإنسانية في الأدب العربي تنظيما أوضح في العصر العباسي، وذلك نتيجة ازدهار الفكر الفلسفي والمنطقي من جهة، ونمو التيارات الزهدية والصوفية من جهة أخرى، مما جعل التفكير في الإنسان وقضاياه أساسا في الإنتاج الأدبي والفكري. وقد انعكست

[1] رائد سهيل الحلاق: النزعة الإنسانية في الثقافة العربية طبيعتها ومظاهرها، مجلة حوليات التراث، ع/16، سوريا، 2016، ص 21.

[2] هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، ط/01، دمشق–سوريا، 2008، ج/20، ص 590.

[3] مرجع نفسه، ص 591.

الإنسانية في كتابات الفلاسفة والمتصوفة الذين عبروا عن رؤى إنسانية في نثرهم وشعرهم[1]. واستمرت الأفكار والقيم الإسلامية في تعزيز الإنسانية في الأدب العربي، خاصة تلك ذات الطابع العقلي في الفلسفة والروحي في التصوف، مما منحها تنوعا وثراء عبر تطورها التاريخي. ومع دخول العصر الحديث، ازدادت قوة الإنسانية واتسعت آفاقها نتيجة اتساع الوعي الثقافي والمعرفي لدى الأدباء، وتزايد التفاعل الحضاري بين الشعوب، إضافة إلى تطور الدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماعية.[2] ثم جاءت مرحلة الرومانسية العربية متأثرة بالرومانسية الغربية، فبرزت فيها الإنسانية الفردية التي ركزت على المشاعر الذاتية والوجدان والطبيعة، والأدب المهجري حيث عبروا عن القلق الإنساني، والحرية، والجمال، ومعاناة الإنسان، مما أسهم في تطوير الفهم الإنساني للأدب ورسالة الفن.[3] فساهمت معاناة المهجريين من الاغتراب والظلم وضيق المعيشة في تنمية الحس الإنساني لديهم، مما جعلهم يركزون في كتاباتهم على قيمة الإنسان ومشاعره. منها أعمال ميخائيل نعيمة وتأملات جبران خليل جبران حول الحياة والموت والخلود، حيث دعوا إلى العدل والمساواة والحرية ورفض الظلم. [4] واعتبرت المدرسة الواقعية في الأدب العربي الأدب يجب أن يعالج الواقع بدل الهروب منه. لذلك ركزت على تصوير مشكلات المجتمع مثل الفقر والمرض والخوف والانحراف والهزائم الاجتماعية، مع نقدها واقتراح حلول لها بهدف تحسين الحياة الإنسانية.[5] فالإنسانية في أصلها تقوم على حب الإنسان والسعي إلى تحقيق الخير العام له في مختلف جوانب حياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، مع تأكيد القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من الدين، بعيدا عن المادية التي تمنح

---

[1] رائد سهيل الحلاق: النزعة الإنسانية في الثقافة العربية طبيعتها ومظاهرها، مرجع سابق، ص 21.

[2] هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، مرجع سابق، ص 593.

[3] نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر "الاتباعية –الرومانسية – الواقعية – الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984، ص 39.

[4] مفيد محمد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، ط/01، بيروت–لبنان، 1981، ص 46. نقلا عن: رائد سهيل الحلاق، النزعة الإنسانية في الثقافة العربية طبيعتها ومظاهرها، مرجع سابق، ص 23.

[5] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر "الاتباعية –الرومانسية – الواقعية – الرمزية، ص 332.

الإنسان حرية مطلقة في خلق القيم كما في التصورات الغربية[1]. ولهذا يمكننا القول أن الأدب الإنساني هو الذي يجعل الإنسان وقضاياه محور اهتمامه، حيث يعالج مشكلاته الوجودية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مثل الظلم والفقر والمرأة والقيم والوطن، ويدعو إلى ترسيخ قيم الرحمة والمساواة والتسامح، ونبذ التمييز والعصبية بكل أشكالها. وبذلك يهدف إلى الارتقاء بالإنسان وتحقيق سعادته.

المطلب الثاني: مظاهر البعد الإنساني في الرواية

تقوم العلاقات بين الشخصيات في السرد الروائي على شبكة من التفاعلات المتبادلة التي لا يمكن فصلها عن البناء العام للنص، حيث تتحدد قيمة كل شخصية من خلال ارتباطها بالشخصيات الأخرى داخل العمل. فهذه العلاقات لا تقتصر على مجرد التعايش داخل الأحداث، بل تقوم على الترابط والتداخل الذي يسهم في تشكيل البنية السردية للرواية. كما تقوم على مبدأ التشابه والاختلاف بين الشخصيات من حيث الصفات والأدوار والمواقف، مما يخلق ديناميكية داخل النص تعكس تنوع التجربة الإنسانية. وإضافة إلى ذلك، فإن هذه العلاقات تتسم بالتغير والتحول عبر الزمن السردي، وهو ما يعكس طبيعة الشخصية الإنسانية في تعقيداتها وتناقضاتها، ويجعل من الشخصية عنصرا فاعلا في بناء المعنى داخل الرواية.[2]

وتعتبر الرواية من النصوص الأكثر ازدحاما بالعديد من المعالم الفكرية والحضارية، وأكثرها استحضارا لمظاهر الوجود الانساني عبر العصور، ترصده في كل حالاته، وتعبر عن أماله وهمومه ومشاكله، لهذا جاءت معبرة عن مختلف الصراعات التي تنشأ بين الانسان مع

[1] رائد سهيل الحلاق: النزعة الإنسانية في الثقافة العربية طبيعتها ومظاهرها، مرجع سابق، ص 24.

[2] بوعافية أحمد: بنية الشخصية في السرد من منظور النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع/03، الجزائر، 2022، ص 188.

ذاته ومع الآخرين،[1] حيث لا تزال الرواية الجنس الأدبي الأكثر ارتباطا بالواقع ومحاكاة له، إذ تشيد عبر بنيتها عوالم متخيلة تحمل أبعادا واقعية واضحة، تلتقي فيها الشخصيات ضمن إطار زماني ومكاني يشكل موضوع الرواية. وتتحرك هذه الشخصيات داخل الحدث الروائي في علاقات تتراوح بين الصراع والحوار، فتتطور تدريجيا عبر مسار السرد. وينشأ الصراع بوصفه نتاجا لأفعال الشخصيات وتفاعلاتها، يعكس الأفكار والقيم والحريات المتوارثة عبر الأجيال، ويسهم في إبرازها وانتشارها.[2]

ويمكن أن تعيش إحدى هذه الشخصيات في الرواية صراعا نفسيا، يعكس التناقضات الداخلية أو القرارات الصعبة التي تواجهها. فيمكن أن يتم تصوير الصراع الداخلي للشخصيات من خلال مواجهتها للظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها، مثل الفقر والاضطهاد والاستعمار...وغيرها، حيث تتداخل مشاعر الشخصيات وتحدياتها النفسية مع الواقع الخارجي. والصراع الداخلي يعكس التوترات النفسية التي تواجهها الشخصيات أثناء محاولتها التكيف مع هذه الظروف الاجتماعية، مما يجعل الصراع الداخلي جزءا لا يتجزأ من تطور الحبكة. من خلال التفاعل بين الشخصيات والبيئة المحيطة بها، يظهر الصراع الداخلي كقوة دافعة تؤثر على القرارات التي تتخذها الشخصيات، ويبرز مدى تأثير العوامل النفسية والاجتماعية على مصائرهم.[3]

فالنظرية الإنسانية في الأدب تقوم على تصور الإنسان ككائن معقد يجمع بين العقل والعاطفة، وبين الخير والشر، ولا يمكن فهمه إلا من خلال تفاعله مع الآخرين داخل المجتمع. فالعلاقات بين الشخصيات في الأعمال الأدبية تعد تجسيدا حيا لهذه الإنسانية، إذ تتشكل عبر

---

[1] نور ضياء فالح: أنماط الصراع في شخصيات رواية "امرأة الظل" لعبد الرضا صالح محمد دراسة تحليلية وفق منظور اجتماعي – نفسي، صحيفة المثقف على الموقع: https://www.almothaqaf.com/ ، تم الولوج إليه يوم 01-06-2026، الساعة 18:00.

[2] مرجع نفسه.

[3] حمزة عمر عثمان الداودي: الصراع الداخلي والتحول الاجتماعي استكشاف البنية الروائية والأبعاد الإنسانية في رواية التوت المر، المجلة العراقية، ع/03، العراق، 2024، ص 157.

التواصل والصراع والحب والاختلاف، وتبرز حاجة الإنسان الدائمة إلى الآخر بوصفه مرآة لذاته ووسيلة لتحقيق وجوده.[1] كما أن هذه العلاقات لا تنفصل عن البناء السردي، بل تسهم في بلورة الأحداث وتوجيهها، وتكشف عن القيم والدلالات الإنسانية العميقة. ومن خلال هذا التفاعل بين الشخصيات تتجسد الرؤية الإنسانية التي ترى أن الأدب يعكس الحياة ويعيد تشكيلها، ويظهر الإنسان في حالاته المتناقضة والمتغيرة، مما يجعل العلاقات بين الشخصيات عنصرا أساسيا في فهم التجربة الإنسانية داخل النص الأدبي.[2] ومن مظاهر الإنسانية هي المبادئ الأخلاقية التي تهدف إلى تنظيم علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين، وترسيخ معاني الخير والعدل والرحمة في المجتمع. وتتمثل في العدل الذي يضمن إنصاف الأفراد ورفع الظلم عنهم، والحرية التي تمنح الإنسان حق التعبير عن ذاته واختيار مصيره، والتسامح الذي يعزز قبول الآخر رغم اختلافه في الدين أو الفكر أو الثقافة. كما تشمل قيم التضامن التي تقوم على التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، وقيم الرحمة التي تدفع إلى التعاطف مع الضعفاء والمحتاجين، إضافة إلى المساواة التي تؤكد أن جميع البشر متساوون في الكرامة والحقوق دون تمييز. وتسهم هذه القيم مجتمعة في بناء مجتمع متوازن يسوده الاحترام والتعاون، ويضمن للإنسان حياة كريمة قائمة على العدل والإنسانية.[3] فيتبين من هذا الطرح أن العلاقات بين الشخصيات تمثل عنصرا أساسيا في بناء السرد الروائي، فهي شبكة معقدة تكشف عن طبيعة الإنسان وصراعاته الداخلية والخارجية. كما أن الرواية من خلال هذه العلاقات تعكس البعد الإنساني للحياة، حيث تتجسد القيم والمبادئ الأخلاقية مثل العدل والحرية والتسامح في تفاعل الشخصيات، مما يجعل النص الروائي فضاء لفهم التجربة الإنسانية في أبعادها النفسية والاجتماعية والفكرية.

---

[1] نبيل راغب: موسوعة النظريات العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط/01، مصر، 2003، ص 51-57.

[2] مرجع نفسه، ص 58.

[3] أسماء سالم، أحمد بن عفيف: طبيعة القيم دراسة مقارنة بين الإسلام والفلسفات الوضعية، مجلة الدراسات العربية، كلية المنيا، مصر، 2022، ص 894-900.

المبحث الثالث: البعد البيئي في الأدب

شهدت الدراسات الأدبية خلال العقود الأخيرة تحولات عميقة في المناهج النقدية التي تهتم بالعلاقة القائمة بين الإنسان ومحيطه الطبيعي، وقد أفرزت هذه التحولات ما يعرف بالنقد البيئي وهو اتجاه نقدي يتخذ من البيئة مدخلا أساسيا لقراءة النصوص الأدبية وتحليلها. ورغم أن حضور الطبيعة والبيئة في الأدب ليس جديدا من حيث المبدأ، إذ لطالما تغنى الشعراء بالطبيعة ووصف الروائيون مشاهدها وصور الكتاب علاقة الإنسان بأرضه، فإن الجديد يتمثل في تحويل هذا الاهتمام إلى إطار منهجي ونقدي واضح المعالم. وقد اتسع نطاق الاهتمام بالبعد البيئي في الأدب ليشمل مجالات معرفية متعددة تتقاطع فيها الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة، إلى جانب التحليل الأدبي في صيغته التقليدية. وفي هذا السياق، يهدف هذا المبحث إلى إبراز مفهوم البعد البيئي في الأدب، واستعراض أنواعه وأبرز تجلياته في الرواية، بالاستناد إلى ما قدمته المناهج النقدية الغربية والعربية في هذا المجال، مع الاستشهاد بنماذج روائية تبرز عمق التفاعل بين المكان والشخصية والرؤية الفنية.

المطلب الأول: مفهوم البعد البيئي في الأدب

- لغة:

تعود جذور كلمة "البيئة" إلى الفعل "بوأ"، ومنه باء، يبوء، بوءا، فيقال: باء إلى الشيء: رجع.

ومنه أيضا الباء والباءة اللتان تعنيان النكاح، وسمي كذلك لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره. والأصل في الباءة المنزل وباء بالذنب، التزم ورجع وأقر.

ومباءة الإبل معطنها ومكان إناختها، والمباءة من الرحم؛ حيث تبوأ: الولد. [1]

- اصطلاحا:

أما اصطلاحا فالبيئة هي: "الوسط العام الذي تعيش فيه الكائنات حية كانت أو غير حية، في تفاعل مستمر، تنشأ عنه في الغالب علاقات معقدة ومركبة، تؤثر سلبا أو إيجابا في

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة–مصر، مادة (ب و أ)، د.ت، ص 372.

نمط حياة هذه الكائنات ووجودها وتطورها واستمراره. وهي ذلك "الرصيد من الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته".[1] وهي صنفين:

الصنف الأول يتمثل في المكونات اللاحيوية، ويشمل مختلف العناصر والعوامل الفيزيائية، مثل العوامل المناخية كالماء والحرارة والضوء، إضافة إلى العوامل الجيولوجية التي تتجسد في طبيعة الأرض ونوعية التربة، فضلاً عن العناصر والمعادن والهواء. ويمكن تقسيم هذا الصنف بدوره إلى ثلاثة أغلفة هي: الغلاف الجوي، والغلاف المائي، والغلاف الصخري.[2]

أما الصنف الثاني فيتمثل في المكونات الحيوية، ويضم جميع الكائنات الحية، وفي مقدمتها النباتات الخضراء التي تعد المنتج الأول للغذاء، إذ تقوم بإنتاج غذائها بنفسها وفي الوقت نفسه تشكل مصدر تغذية لغيرها من الكائنات. كما يشمل هذا الصنف الكائنات العاشبة باعتبارها الحلقة الثانية في السلسلة الغذائية، إضافة إلى الكائنات اللاحمة التي تتغذى على لحوم الحيوانات الأخرى.[3]

أما حسب "علاء الدين رمضان" فالبيئة عنده تتركب من شقين متمازجين هما: العوامل الجغرافية والعوامل الاجتماعية، يضاف إليهما في المتن الإبداعي نوع آخر من العوامل هو العوامل الوجدانية التي تعنى بالتوافق أو التنافر مع البيئة المحيطة، فالعوامل الجغرافية، من سطح ومناخ، أجزاء من البيئة، ولكنها ليست هي كل البيئة، ويخطئ من يقصر مفهوم البيئة على تلك العوامل الجغرافية، لأن البيئة في حقيقتها مفهوم إنساني عام، وتختلف درجة السيادة بين العاملين الأولين الجغرافيا والطبيعة، بحسب القيمة الحضارية للمجتمع، وينعكس أثر هذه السيادة على العامل الثالث وهو البعد الوجداني المؤثر فالظروف الطبعية لها السيادة على العوامل الاجتماعية في المجتمعات البدائية، وتقل درجة هذه السيطرة كلما ارتقت المجتمعات، إذ تزداد العوامل الاجتماعية قوة وتأثيرا، إذا أصبح الإنسان سيد نفسه، وسيد وجوده، يسخر ما

[1] نجم العزاوي، عبد الله حكمت النقار: إدارة البيئة نظم ومتطلبات وتطبيقات ISO 14000، دار المسيرة، ط/01، عمان–الأردن، ص 74.

[2] عوض محمد حسان، حسن أحمد شحاتة: البيئة ومشكلات التلوث، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 2017، ص 12.

[3] مرجع نفسه، ص 13–14.

في الطبيعة لحاجته، حتى إنه يمكن قياس التقدم الحضاري بمحاولات الإنسان للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لغاياته.

وقد أخذت البيئة نصيبا كبيرا من الاهتمام نظرا للمشاكل التي طالت على الإنسان بسبب التطور التكنولوجي وتغير المناخ، ومن هنا اهتمت العديد من العلوم والميادين بها ومن بينها الأدب، ولهذا ظهر بما يعرف الأدب البيئي وهو الأدب الذي يجعل من البيئة بمختلف قضاياها ومشكلاتها وأزماتها وتحدياتها موضوعا رئيسا له، ويسعى إلى إبراز آثار هذه القضايا في الإنسان والكائنات الحية والوسط البيئي، حاملا وعيا بيئيا وإحساسا بالمسؤولية تجاه البيئة ومكوناتها المختلفة.[1]

وعرفه "خميسي" على أنه: "أدب يقوم على وعي إيكولوجي وفلسفة بيئية خاصة، ويختلف في نشأته وخصائصه وأهدافه عن الأدب التقليدي المرتبط بالطبيعة. وهو لا يزال في طور التشكل والتطور، حيث يسعى إلى بناء أسلوبية وشعرية خاصة به تحول المعطى البيئي من موضوع علمي إلى مادة تخييلية ورمزية قابلة للتعبير الفني. كما يستند هذا الأدب إلى النقد البيئي بوصفه إطارا تفسيريا يدرس النصوص ذات التوجه البيئي ويحلل خطابها ويفكك دلالاتها".[2]

ومنه يمكننا القول إن هو نوع من الأدب يتخذ من البيئة وقضاياها ومشكلاتها وتحدياتها موضوعا رئيسا للتعبير الفني، ويقوم على وعي إيكولوجي وفلسفة بيئية تهدف إلى إبراز العلاقة بين الإنسان ومحيطه الطبيعي والاجتماعي، والكشف عن آثار التغيرات البيئية في الحياة الإنسانية والكائنات الحية، مع تنمية الإحساس بالمسؤولية تجاه البيئة من خلال توظيف الأبعاد الجمالية والرمزية والتخييلية في النص الأدبي.

---

[1] صياد مليكة: بين أدب الطبيعة والأدب البيئي –تعيين الفروق ورسم الحدود–، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، ع/01، الجزائر، 2026، ص 95.

[2] آدامي خميسي: من أجل لغة خضراء– محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، مجلة الآداب واللغات أبوليوس، ع/02، الجزائر، 2021، ص 111.

المطلب الثاني: تجليات البعد البيئي في الرواية

- وصف الأرض والطبيعة:

الرواية فن مكاني؛ فالمكان عنصر رئيسي من عناصرها كالزمان والشخصيات والأحداث ووجهات النظر وغيرها. والمكان أي مكان لا يخلو من عناصر الطبيعة كالهواء، والجماد، والنبات؛ بل إن الإنسان نفسه له أبعاد المكان وجزء من الطبيعة. ويتجلى حضور الطبيعة في الرواية من خلال جعلها مسرحا تدور عليه الأحداث الروائية كلها أو جزء منها؛[1] ويرجع وصف المؤلفين للطبيعة في أعمالهم إلى كونها فضاء حيا يعكس تفاعل الإنسان مع بيئته، ويكشف في الوقت نفسه عن أبعاده النفسية والاجتماعية والفكرية. فوفقا لما يشير إليه الدكتور "محمد عبد الله سرحان"، يهتم النقد الإيكولوجي بالنصوص التي تجسد الطبيعة في حركتها وتأثيرها النفسي على الإنسان، وتتبع أهمية هذا التوظيف من كون الإيكولوجيا فرعا علميا يدرس العلاقة بين الكائن الحي وبيئته، وهو ما انعكس لاحقا في النقد الأدبي بوصفه اتجاها يربط بين النص الأدبي والطبيعة والمكان والبيئة من زوايا متعددة ثقافية ونفسية واجتماعية وجمالية.[2] لذلك، فإن حضور الطبيعة في الأدب لا يقتصر على الوصف، بل يتجاوز ذلك إلى بناء دلالات رمزية تعكس قضايا الإنسان وصراعاته الداخلية والخارجية. وتظهر الأمثلة الروائية هذا البعد بوضوح؛ ففي رواية «أرض النفاق» تتحول الأرض من رمز للعطاء إلى فضاء يعكس أزمة أخلاقية واجتماعية ممتدة إلى البيئة، بما في ذلك تلوث النهر. أما في «موسم الهجرة إلى الشمال» فتغدو الطبيعة، وخاصة النهر والقرية، فضاء نفسيا يعكس الحنين والاغتراب والتوازن الداخلي للبطل. وفي «بيروت 75» تستخدم مفردة الشمس بوصفها عنصرا يكشف الحالة النفسية للشخصيات، حيث تعكس التوتر الداخلي والرغبات المكبوتة، وبذلك يتضح أن الطبيعة في الرواية عنصر دلالي فاعل يشارك في بناء المعنى وتشكيل

---

[1] محمد عبد الله القواسمة: الرواية والطبيعة، مجلة الأنطولوجيا، على الموقع: https://alantologia.com/ وتم الولوج إليه يوم: 02-06-2026 الساعة 18:30.

[2] رشا أحمد: تجليات الطبيعة في الرواية العربية (لم يتفق النقاد بسبب حداثة المصطلح على مفهوم باتّ ونهائي للنقد الإيكولوجي)، ثقافة وفنون، صحيفة الشرق الأوسط، القاهرة- مصر، على الموقع: https://aawsat.com/ ، نشر في يوم 27-11-2023، وتم الولوج إليه يوم: 02-06-2026 الساعة 18:30.

التجربة السردية.[1] وفي الأدب العربي المعاصر، جعل عدد من الروائيين مثل "عبد الرحمن منيف"، و"إبراهيم الكوني"، و"رجاء عالم"، و"إبراهيم الدرغوثي" الصحراء فضاء رئيسيا لأعمالهم، مما ساهم في إعادة النظر في التصور التقليدي الذي كان يحصر الرواية في الفضاءات الحضرية. فأصبحت فضاءا يسهم في بناء الأحداث وتطوير البنية.[2] وترتبط الصحراء كذلك بالعالم الأسطوري وبالمعتقدات والعادات المتجذرة، كما تعد مصدرا ثريا للرموز والدلالات التي تمنح النص الروائي عمقا فكريا وجماليا. وهي فضاء ثقافي وفكري خاص لا يتجلى رمزه إلا في كتابات أدباء ينحدرون غالبا من بيئات صحراوية، لما يحمله هذا الفضاء من خصوصية ثقافية وتراثية تميزه عن غيره.[3] يتضح من هذا الطرح أن الطبيعة في الرواية مكون بنيوي ودلالي يسهم في تشكيل المعنى وبناء التجربة السردية. فهي فضاء حي يعكس تفاعل الإنسان مع محيطه، ويكشف في الوقت نفسه عن أبعاده النفسية والاجتماعية والفكرية، مما يجعلها شريكا فاعلا في صناعة الحدث الروائي وتوجيه دلالاته.

- البيئة الاجتماعية:

وهي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويتفاعل من خلاله مع محيطه البشري، وتشمل مجموعة العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنشأ بينه وبين الأفراد داخل المجتمع، وما يرتبط بها من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوك ومؤسسات اجتماعية. وهي بيئة متحركة تؤثر في تكوين شخصية الفرد وتوجيه سلوكه وتحديد مواقفه، كما يتأثر بها في المقابل من خلال عملية التفاعل الاجتماعي المستمر.[4] ويتضح أن البعد البيئي في الرواية لا يقتصر على الوصف الجمالي للطبيعة فقط، بل يكشف علاقة الإنسان بمحيطه ويعكس حالته النفسية والاجتماعية. كما أن البيئة، سواء الطبيعية أو الاجتماعية، تشكل إطارا فاعلا في بناء الأحداث وتوجيه المعنى داخل النص الروائي.

---

[1] رشا أحمد: تجليات الطبيعة في الرواية العربية مرجع سابق.

[2] صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق-سوريا، 1996، ص 311.

[3] أمينة محمد برانين: فضاء الصحراء في الرواية العربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط/01، عمان-الأردن، 2011، ص 17.

[4] حمودي السعيد: أثر البيئة الاجتماعية والثقافية في الحركة الأدبية والنقدية في الجزائر، حوليات الآداب واللغات، ع/02، الجزائر، 2013، ص 228.

الفصل الثاني: التحليل التطبيقي للأبعاد الإنسانية والبيئية في الرواية

المبحث الأول: تحليل الشخصيات من منظور إنساني (دراسة الشخصيات الرئيسية والثانوية في الرواية)

المبحث الثاني: تحليل البعد البيئي في الرواية

المبحث الثالث: الربط بين البعد الإنساني والبيئي في الرواية

المبحث الأول: تحليل الشخصيات من منظور إنساني دراسة الشخصيات الرئيسية والثانوية في الرواية

تعد الشخصية في العمل الروائي الركيزة التي تتجسد من خلالها الأفكار وتتحرك بواسطتها الأحداث، وهي المرآة التي يرى فيها القارئ انعكاسات الواقع الإنساني بكل تعقيداته وتناقضاته. وفي رواية "العائدون من الأرض"، تحمل كل شخصية منها بعدا إنسانيا خاصا يجعل منها نموذجا قائما بذاته. وما يميز هذه الرواية في بناء شخصياتها أنها تجمع بين عالمين متباعدين زمنا ومكانا، فتقحم في فضاء واحد شخصيات بشرية وأخرى آلية، ولفهم هذا البناء الإنساني المعقد، لا بد من الوقوف عند الشخصيات الرئيسية التي تحمل ثقل الرواية وتقود أحداثها، ثم عند الشخصيات الثانوية التي تغني النسيج الروائي، لكن أولا سنتطرق إلى تعريف الشخصية.

- تعريف الشخصية:

يعرف "رولان بارث" الشخصية بأنها نتاج عمل تأليفي، وكان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى علم يتكرر ظهوره في الحكي حيث يؤكد أن الشخصية هي نتاج عمل تأليفي تكون صفاتها موزعة عمن خلال الأدوار التي تقوم بها في ظهورها الحكي.[1] كما يعتبر عبد الخالق الشخصية "هي نمط سلوكي نسبي ثابت ودائم يميز الفرد عن الآخرين، وهي نتاج تنظيم فريد لمجموعة من الوظائف والسمات المتفاعلة معا. وتشمل هذه الوظائف القدرات العقلية، والعاطفة، والدوافع، والبنية الجسدية، والوظائف الفسيولوجية، حيث تعمل جميعها بشكل متكامل لتحدد أسلوب الفرد الخاص في الاستجابة لمثيرات البيئة وطريقته الفريدة في التكيف معها.[2] وهي نوعين:

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط/01، بيروت-لبنان، 1991، ص 50.

[2] أحمد محمد عبد الخالق: استخبارات الشخصية، دار المعرفة الجامعية، ط3، الإسكندرية-مصر، 2000، ص 21-22.

أولا: الشخصيات الرئيسية

يعود أصل مصطلح الشخصية الرئيسية إلى اليونانية، حيث كان يدل على الممثل الذي يؤدي الدور الرئيسي في المسرحية، حتى وإن كان يؤدي أدوارا ثانوية في الوقت نفسه. أما في الاصطلاح الحديث، فيقصد به الشخصية المحورية في العمل السردي، سواء أكان مسرحيا أم روائيا، وهي الشخصية التي تدور حولها الأحداث وتتمحور حولها بنية السرد، وقد تكون هذه الشخصية بطلا أو غير بطل، ما دامت تمثل مركز الثقل في تطور الأحداث. [1]وهي العنصر الحيوي والمحور الأساس في العمل الروائي، إذ تعد بمثابة القوة التي تنتظم حولها باقي عناصر العمل، فتخضع لها من حيث الكم والكيف، ومن خلال ترابط هذه العناصر وتفاعلها تتشكل البنية الحية للعالم الروائي وتتحقق وحدته الفنية. [2] وتعد الشخصية رئيسية عندما تؤدي وظائف أساسية في تطوير أحداث القصة أو الرواية،[3] ومن خلال ذلك يتضح أن الشخصية الرئيسية هي الشخصية المحورية التي يقع عليها عبء بناء الحدث الرئيسي وتنميته اعتمادا على صفاتها وسماتها[4]. والشخصيات الرئيسية التي تمثلت في رواية "العائدون إلى الأرض" هي:

- علية:

هي البطلة والراوية والمحرك الأساسي للأحداث في الرواية من خلال مذكراتها ويومياتها، نعيش معها رحلة إنسانية عميقة، تبدأ من العزلة والقيود وتنتهي بالحرية والسلام الداخلي، ففي بداية طريقها، تعيش علية أو FEB214 في كوكب "الأرض الجديدة" عندما

---

[1] مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط/02، بيروت–لبنان، 1989، ص 208.

[2] بدري عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبان، 1986، ص 234.

[3] منيف سعد جاسم: أنماط الشخصيات في رواية "وحدها لا تموت" للكاتب العراقي سعد جرجيس سعيد، المجلات الأكاديمية العلمية، ع/03، العراق، 2024، ص 273.

[4] هاشم مرغني: بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط/01، الخرطوم–السودان، 2008، ص 389.

قال:" الجديد الذي يسمونه (الأرض الجديدة)"،[1] وهو كوكب ينتمي إلى مجرة إسمها "كليبر 63" مثلما قال الكاتب: "على الرغم من أن اسمي الرسمي في كوكبنا الذي ينتمي للمجرة المسماة بكليبر 63، هو FEB060214 "،[2] لكنها تفضل اسم علية لأنه اسم معرفة يشير للإنسان وليس للروبوت كما قالت: "مصرة على اسمي الآخر، فهو ما يربطني بجدتي المتوفاة وجداتي السابقات حتى لو لم أتعرف عليهن أبدا. ثم إنني أحب الأسماء المعرفة لا تلك التي تشير لنا وكأننا أرقام في مختبر"،[3] وهي يتيمة الأبوين مثلما قالت: "لذا أتمنى أن تنادونني منذ الآن بـ (علية)، اسمي الذي أطلقته على جدتي بعد وفاة أمي وأبي في حادث مختبري ولي من العمر ثلاثة أعوام."[4] وفي مقطع آخر: "ريتني جدتي لخمسة عشر عاما. كنت قد أصبحت يتيمة الأبوين في عمر الثالثة، ولم يكن لي من مكان أعيش فيه سوى منزل جدتي."،[5]وتعيش علية في كوكب متطور تكنولوجيا ومغلق تماما، تفرض سلطاته حراسة مشددة وتمنع أي شخص من تجاوزه أو السفر منه مثلما قالت: "بعد أن كنت مثل غيري من سكان الكوكب مبرمجة تماما وأحسب لخطواتي وترتيب يومي بشكل مشابه للأيام الأخرى، لا نستطيع الخروج عن خطة الكمبيوتر الأعظم الذي يسيطر على كل شيء في كوكبنا."[6].

ففي هذا المجتمع المعزول، كانت علية تبدو مختلفة؛ فهي فتاة يملؤها الفضول والشغف لمعرفة الماضي وجذور البشرية الأصلية، وكان المحرك الأكبر والروحي لشخصية علية هو "جدتها الراحلة التي ربتها هي نافذة علية على التاريخ، فتشربت منها حكايات الأرض القديمة وأسرارها مثلما قالت:" كنت منذهلة وانا أستمع لها وهي تحكي وتحكي، وكله أتذكره حتى اليوم وكأنها ماتزال معي تسرد على أسماعي حكايات الناس القديمة وأسرارهم الدفينة. قالت لي في

---

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، ط/02، العراق، 2020، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

[3] المصدر نفسه، ص 13.

[4] المصدر نفسه، ص 13.

[5] المصدر نفسه، ص 14.

[6] المصدر نفسه، ص 13.

نهاية الليلة وهي تسرد دون توق"، [1] وعندما ماتت الجدة وعادت علية إلى بيتها وحيدة، تغيرت نظرتها للحياة وحواستها بالكامل وقررت أن تحمل وصية جدتها على عاتقها بالعودة إلى كوكب الأجداد كما قالت: اقتربت مني وقبلتني أولا ثم طلبت مني أن أنفذ ما ترغب به.. أقول لها بالطبع جدتي، كل ما ترغبين به تبتسم طويلاً وهي تذكرني بأمنيتها الأخيرة... عديني حفيدتي أن لا تدفني جسدي هنا، وأن تبحثي عن الحقيقة كاملة. وعندما تستطيعين الا أعرف كيف؟ أن تحمليني معك إلى الأرض القديمة وتدفنيني هناك تحت جذر شجرة كبيرة. لا تنسي أن تأخذي معك ورقة الكتاب السرية، قصة الحكواتية شهرزاد... أمنيتي أن تعثري على الكتاب كاملاً لتقرأي كل قصصه ... سأكون سعيدة في عالمي الآخر لو أتيح لواحدة من عائلتنا أن تعرف الحقيقة كلها ... حقيقة الكوكب والكتاب وقصص الليالي الألف التي يقولون إنها لا تنتهي أبدا".[2]

قررت علية في الأخير أن تحقق أمنية جدتها وبدأت بالتحرك حول البحث عن الحقيقة إلا أنها لم تستطع أن تثق في أي أحد من كوكبهم، فهي تعيش وسط مجتمع لم يعد يعرف لا الكتابة والقراءة أو الشعر، فكل شيء متعلق بالأرض تم طمسه نهائيا كما قالت: "لم أك قادرة على الوثوق بأي أحد كي أطلعه على ما بحوزتي من معلومات...وكلهم يتفقون على نهاية الأرض... وهي بمثابة خرافات وأساطير".[3] فبقيت بالبيت منعزلة لمدة طويلة،[4] ثم فجأة تعرفت على روبوت يغير حياتها وتبدأ معه رحلة البحث عن الحقيقة مثلما قالت: " الروبوت 0001 أصبح رفيقي في كل ما أنوي عمله، بل بدونه لم أستطع عمل أي شيء. بدونه لن أفهم معنى المسافات الفاصلة ما بين كوكبنا والعالم الخارجي، وهو الذي ساعدني بتمرير العديد من المعلومات والخرائط والكشوفات المنسية والمهملة والتي لا نعرف عنها أي شيء هنا. لا شيء

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص 23.

[4] المصدر نفسه، ص 24.

أجده في المكتبة الكونية ولا في مناهج الدراسة يشير ولو قليلا لما يسرده علي الروبوت 0001."،[1] وبعد أشهر قررت بداية رحلتها نحو الأرض مع الروبوت وتركت وراءها كل شيء إلا ثلاثة أشياء كما قالت: "لم أصدق نفسي وأنا داخل المركبة الفضائية المعدة للانطلاق، مجهزة بكامل عدتي برفقة صديقي الروبوت 0001 تركت كل شيء في البيت ولم أحمل معي غير أشياء ثلاث ميدالية جدتي أو جسد جدتي المصغر بهيئة ميدالية، والصندوق الذي يضم قصاصة الورق لإحدى حكايات ألف ليلة وليلة، وصورة لي أنا وجدتي وفي الخلف منا منظر كامل للكوكب الجديد بالقرب من الحقول الاصطناعية المحيطة ببيتنا".[2] فقد تمتعت علية بشجاعة لا مثيل لها واخترقت جميع الحدود التي على كوكبها لتهبط أخيرا مع صديقها الروبوت على أرض الكوكب القاحل، فالكوكب الذي حلمت به كان عبارة عن غبار وعواصف وبيوت مدمرة، والبشر يعيشون خائفين في أنفاق ومغارات مظلمة تحت الأرض، ويصابون بـ "مرض النسيان" عند سن الثلاثين حيث قالت: "عندما وصلنا إلى الأرض، كان كل شيء صامت لا صوت ولا حركة تدلنا على الوجهة الصائبة. أين هي الأرض حقيقة؟، أين ناسها وحيواتها الأخرى؟ لا أثر لنباتات وأحياء سمعت بوجودها. لا شيء سوى التربة والغبار والأفق المعتم."[3] وفي مقطع آخر: "الكائن الأرضي يعاني من نوبات نسيان مفاجئة. من هنا أدركت ما قاله لي عن نسيانه لإسمه".[4] هنا تظهر "إنسانية علية"؛ فلم تيأس، بل تعاطفت مع هؤلاء البشر البدائيين، وبدأت تسجل يومياتها منذ اليوم الثالث لوصولها، وتعاونت مع الروبوت لإنقاذهم، فأخذت تقنع المجموعات بالصعود إلى السطح، وساعدتهم في بناء بيوت جديدة وخلع ثيابهم البالية ليعودوا إلى الحياة مجددا كما أشار الكاتب في هذا المقطع: "مرت السنة الثانية من تواجدنا على الأرض. في البداية أقمنا مع الجميع تحت الأرض. في هذه الأنفاق والمغارات

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 39.

[3] المصدر نفسه، ص 46.

[4] المصدر نفسه، ص 50.

العميقة. لكننا بين فترة وأخرى نقنع مجموعة بعد أخرى على الخروج معنا إلى السطح. كانوا يخشون الخروج، لكننا أقنعناهم بأن كل شيء على ما يرام ولا داعي للخوف. لم ننجح مع الجميع ولكننا اليوم ننعم برفقة البعض منهم وقد زالت عن ذاكرتهم غشاوة النسيان... اشتغلنا أنا والروبوت أول الأمر على بناء بيوت صالحة للعيش وتركناها بعهدة شيخ المجموعة ليقنع الناس بالعيش فيها".[1]

وفي الأخير نرى علية وقد وصلت إلى قمة نضجها واستقرارها النفسي، لقد اختفى خوفها وقلقها القديم، ولم تعد تحن إطلاقا لكوكب "الأرض الجديدة"، بل وجدت انتماءها الحقيقي هنا، وأصبحت تسمي المكان "الأرض" وحسب كما قالت: "وهذا حالي اليوم، لم يعد يقلقني ما كان يقظ مضجعي سابقا.. مطمئنة أنني أعيش في المكان المناسب لأنني وجدت مكاني هنا، ولم أعد أحن للمكان البعيد الذي تركت في كوكبي الجديد ذاك المسمى بالأرض الجديدة كوكبي الآن هو هذا الكوكب الذي يسمونه الأرض القديمة.. لم أعد أرغب التفكير بكل ما مضى قبل رحلة عودتي إلى الأرض، وكأن كل شيء قبل ذلك لم يعد له وجود في تفكيري".[2] وتحقق حلمها الروحي الأكبر؛ حيث زرعت نخلة يتوسط جذرها رفات جدتها بجانب بيتها الجديد، لتتحول ذكرى الجدة إلى روح متجددة ومثمرة في أرض الأجداد. وتعيش علية اليوم في سلام، تقرأ حكايات "ألف ليلة وليلة" في الليل، وتتأمل النجوم برفقة صديقها الروبوت فوق التلال، وهي تشعر برغبة عارمة في الحياة، وبأنها ولدت من جديد لتشهد نمو وازدهار الطبيعة والبشر على كوكب الأرض الأبدي.[3]

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

[3] المصدر نفسه، ص 58-59.

- الروبوت (شهرزاد):

تقدم شخصية الروبوت في بداية رواية العائدون من الأرض بوصفه الراوي الذي يتولى نقل حكاية الأرض وحفظ تفاصيل الرحلة، حيث ويظهر اسمه الحقيقي في قوله: "أخيرا أقول إنني المدعو الإنسان الآلي (روبوت 00001) أو (شهرزاد) كما أسمتني صاحبتي علية"،[1] فهذه الشخصية تحمل اسمين؛ الأول تقني آلي وهو «روبوت 00001»، ويعكس طبيعته كإنسان آلي، أما الاسم الثاني فهو «شهرزاد»، وهو الاسم الذي منحته له علية بعد اكتشافهما كتاب ألف ليلة وليلة في مكتبة قديمة على الأرض. ويذكر النص سبب هذه التسمية بقوله: "تيمنا بالقاصة بطلة حكايات ألف ليلة وليلة".[2] وقد وضح الروبوت أن هذا الاسم الجديد يفضله كثيرا على اسمه الرقمي، حيث يقول: "أحب أسمي الجديد (شهرزاد) وأتمنى أن يسميني الآخرون به"،[3] وهو روبوت من نوع الليغو كما ذكر: " قال الروبوت القديم من نوعية ليغو دون أن يحاول الاقتراب مني"،[4] أي أنه ينتمي إلى جيل الروبوتات القديمة التي تم التخلص منها في مقبرة الروبوتات ومن خدماتها رغم أنها قدمت الكثير عندما قال: " السلطات الفضائية قد قررت التخلص من كل شيء له علاقة بالكوكب القديم. ونحن كما يعرف الجميع أحفاد تلك الروبوتات المتطورة التي جاءت برفقة أوائل المهاجرين للكوكب الجديد. أنا من آخر نوعية من تلك الروبوتات، وبالكاد بقي منا غير ثلاث أو خمس روبوتات، أنا هو الوحيد الذي يعمل من بينها، أما البقية فقد رضيت بقدرها وركدت في صالة عتيقة في مقبرة الروبوتات دون أن تعترض أو تقاوم. كما ترين أنا الوحيد هنا المحاط بالآلات والمكائن وأجزاء الروبوتات القديمة. لم أرض لنهايتي أن تكون بهذه الصورة. كنت أشعر بأنني قادر على العمل وأن نهايتي لن تقررها آلات عملاقة تسيطر على الكوكب الجديد دون سبب مقنع لي على الأقل. أنا واحد من أجيال عديدة

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 11.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

[4] المصدر نفسه، ص 29.

ساهمنا ببناء الكوكب الجديد، مثلما كان لنا دور في الكوكب القديم".[1] فقد كشف الروبوت الليغو عن الظروف الاجتماعية والبيئية القاسية والمعزولة التي يعيشها، وهذه البيئة تعكس النظرة الفوقية والطبقية لمجتمع "الأرض الجديدة" تجاه الآلات القديمة؛ حيث ينظر إليها كنفايات غير نافعة بعد أن انتهى دورها الافتراضي حين قال: "لكن من المؤسف أن لا أحد معي في مقبرة الروبوت القديمة يمكنه مشاركتي الحقيقة الكل تقاعس وانتهى دوره، لم يعد من وجود حقيقي لنا...يعتقدون أننا آلات غير نافعة"،[2] إلا أنه يتميز بالكرامة والاعتزاز بالذات رغبة منه في نيل حقوقه والاعتراف به عندما قال: "أنا الوحيد المتبقي ولن أسكت أعرف أن أصلي هناك في الأرض القديمة ولا بد أن أعثر على طريقة للحصول على حقوقي".[3]

لكن تظهر إنسانية الروبوت بشكل جلي في ردود أفعاله العاطفية؛ فنظرة الاحترام التي وجهتها له علية بسؤالها عن اسمه، جعلت ملامحه الجامدة تتهلل بالفرح. كما أن ضحكه الطويل معها عكس رغبته الدفينة في بناء جسور "الصداقة" معها، عندما قال: " هلل الروبوت الليغو وبانت على قسماته كل مظاهر الفرح. اسمي على بطاقتي الشخصية روبوت 0001 أفكر في المستقبل أن أغيره باسم آخر أجمل وأوفى من هذا... مخطط الطرق الفضائية المنسية. أليس هو ما رغبت بمعرفته عزيزتي علية... أقدمه لك هدية تعارف وشراكة"،[4] بعدها تجاوز الروبوت دوره الآلي ليصبح "الرفيق الحميم" الذي ملأ الفراغ العاطفي والاجتماعي في حياة علية بعد ييتمها ورحيل جدتها. فقد توج ككائن منح الأمان والاحتواء؛ فهو لم يشاركها الأسرار فقط، بل بدد وحشتها في عالم غريب وصار يحميها. وهذا ما أشارت إليه علية في قولها: "الروبوت 0001 أصبح رفيقي في كل ما أنوي عمله، بل بدونه لم أستطع عمل أي شيء...الوحدة التي أشعر بها كل يوم بدأت تتلاشى بوجود الروبوت بجواري... أستطيع

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 29.

[2] المصدر نفسه، ص 29.

[3] المصدر نفسه، ص 29.

[4] المصدر نفسه، ص 29-31.

الآن... أن أقول إن الروبوت يعد صديقا مقربا. صديق أشعر بقربه. صديق يساعدني ويحميني إن تطلب الأمر".[1]

يقرر الروبوت شهرزاد بدأ رحلته في العودة إلى كوكب الأرض مع علية رغم أنها يعيشان في ظل نظام سياسي كوكبي صارم يفرض انغلاقا تاما ويمنع الهجرة أو البعثات التنقيبية بحجة "أمن الكوكب"، فهذا الحظر الاجتماعي ورفض منح "فيزا خروج" حول الكوكب الجديد إلى سجن كبير معزول عن الكون كما ذكرت علية: "ليست الأمور مثلما نتصورها دائما.. بقيت أمامنا مهمة صعبة. لا أحد في السلطات الفضائية يسمح لنا بالخروج بسهولة. لقد منعوا البعثات التنقيبية منذ فترة طويلة... التعليمات صريحة، لا أحد يحصل على فيزا خروج خاصة".[2] إلا أن الروبوت صمم على الخروج وذلك بخلق فيروس صغير من درون يستطيع من خلاله خلق بوابة للعبور إلى الفضاء الحر، وعند نجاح الخطة واختراق الفجوة الإلكترونية بفضل تضحية الدرون المساعد، برزت النزعة الإنسانية في خطاب الروبوت عند وصوله إلى الفضاء الحر. بأنه يرى في هذه الرحلة بداية لـ "الحياة الحقيقية" في قولها: "نجحنا كنت أبتسم بكل لهفة وأنا أكلم الروبوت الصديق "لقد نجحنا يا صديقي، لقد نجحنا". "اليوم ستكون بداية لحياة طويلة ... حياة جديدة ... حياة نختارها بأنفسنا". قال ذلك وصمت".[3] وفي هذه الرحلة الفضائية يظهر لنا الروبوت شهرزاد كشخص يهتم بكل التفاصيل التي تهيء الراحة لصديقته علية، فتقديرا لضعف جسدها، قام بإدخالها في "منظومة نوم مبرمجة" لتنشيط جسدها وحمايتها من مشقة السفر الطويل وعناء التفكير في الفضاء المجهول عندما قالت " كان صديقي الروبوت قد أدخلني في منظومة نوم مبرمجة، لأننا خارج الكوكب قد نحتاج لأشياء أخرى لم ندركها ونحن هناك ومنها النوم لساعات كفيل بأن ينشط الأجساد".[4] وفي لحظة

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

[3] المصدر نفسه، ص 40.

[4] المصدر نفسه، ص 42.

الوصول، رفض تعريض حياتها للخطر، وقرر المغامرة بنفسه أولا مستطلعا التربة والمناخ، عندما قالت: "لم نهبط مباشرة، إذ طلب مني الروبوت الصديق التأني حتى يستعلم بنفسه ومن ثم يشير لي بالنتيجة. خرج الروبوت وما أن وطأ تربة الأرض حتى رأيت كل أجهزته تشتعل بألوان خضراء"،[1] وهي أرقى وأسمى قيم الصداقة التي يمكن للإنسان أن يعيشها.

عاش البطلان في الكوكب الجديد ضمن ظروف اجتماعية صعبة، كون الأرض كانت قاحلة لا يعيش فيها بشر ولا شجر، منطقة في شبه الجزير تغمرها أنقاض البنايات الآيلة للسقوط، وتجتاحها عواصف ترابية هوجاء تدوم لأيام، إلا أنه في ظل الصمت المطبق والوحشة هاته، كان الروبوت هو "الوطن البديل" والأمان المطلق لعلية، حيث يظهر حرصه على ألا يتسلل اليأس والتعب إلى قلبها؛ فيتحول جسده الآلي الميكانيكي إلى مركبة سريعة ليحملها "على ظهره" ويخفف عنها وعثاء البحث، ويجوب بها الخرائب ليوفر لها متعة الاكتشاف عندما قالت: "كنا نخرج مع بزوغ أول الضياء، يحملني الروبوت على ظهره وقد تحول إلى مركبة سريعة ننتقل فيها من طرف إلى طرف بغضون دقائق نراقب ونفتش ونتلصص عسى..."،[2] وعندما يطول البحث بلا جدوى، يمارس دور الأب فيتركها تستريح في المنزل ويتحمل هو وحده مشقة مواجهة العواصف والبحث المضني كما أشارت: "ذات يوم، بعد أكثر من شهرين من وصولنا تركني الروبوت الصديق لأستريح في البيت، بينما راح هو يجوب الأطراف ويحلل التربة وما يجده في طريقه، لعله يكتشف حقيقة ما جرى على الأرض".[3] وعندما ظهر لهما أول شخص بشري تفحص الرجل الصغير بدقة ودون إثارة ذعره، وكان هو أول من شخص الخلل العضوي والنفسي الذي يعاني منه هذا الرجل،[4] وبحد التحقق معه واكتشافهم لمركز الأرض ووجود العديد من الجماعات البشرية تعيش هناك منعزلين عن السطح بفتقرون إلى

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 44.

[2] المصدر نفسه، ص 46.

[3] المصدر نفسه، ص 46-47.

[4] المصدر نفسه، ص 50.

أبسط مقومات الحياة، وذلك بعد هروبهم من الحروب التي واجهتها الأرض قرر الثنائي الروبوت وعلية بإنقاذ هذه الجماعات وإعادتها إلى الحياة، فتفرغ لعدة أشهر داخل مختبره محاولا ابتكار ترياق يعالج هذه الجماعات من النسيان، وأقام مشروع إعادة تأثيث الأرض مع صديقته وبمساعدة الشيخ كذلك كما قالت: "اشتغلنا أنا والروبوت أول الأمر على بناء بيوت صالحة للعيش وتركناها بعهدة شيخ المجموعة ليقنع الناس بالعيش فيها...كان قد أقنعني بضرورة ما أسماه بـ (تأثيث الأرض). قال لي: لا خوف على الأوكسجين، فهو يكفينا حتى اليوم الذي نستطيع فيه من تشجير الأرض من جديد".[1] لينجح الروبوت وعلية في الأخير في إحداث هجرة جماعية من ظلمة المغارات والأنفاق إلى رحابة السطح بعد تحريرهم من غشاوة النسيان. ولضمان عدم ارتداد هذا المجتمع الناشئ إلى البدائية مجددا، تولى الروبوت دور توظيف شبكاته اللاقطة الذكية لجمع شتات الأرشيف الرقمي والمكتبات الكونية القديمة (العلوم، الرياضيات، الفنون، الموسيقى، الأدب)، وشيد مع علية أول "مكتبة ومدرسة أرضية" لتعليم الأطفال الصغار وبناء المعرفة من الصفر.

- الشخصيات الثانوية:

لا يمكن إنكار أن الشخصية الرئيسية تمثل محور الرواية والركيزة الأساسية التي يقوم عليها البناء السردي، إذ تسهم في تحريك الأحداث ودفعها إلى الأمام، مانحة النص الروائي حيوية وديناميكية. فمدار الأحداث يدور حول هذه الشخصية، ويكون كل شيء في العمل مرتبطا بها إلى حد كبير. ومع ذلك، فإن هذا التحرك والتطور لا يتحقق إلا بمساندة الشخصيات الثانوية، التي تلعب دورا مهما في إبراز ملامح الشخصية الرئيسية ودعمها خلال مسارها السردي، مسهمة بذلك في تكامل البناء الروائي وإثراء الأحداث. [2] حيث تعرف الشخصيات الثانوية على أنها الشخصيات التي تؤدي أدوارا محدودة في الرواية، وهي أقل فاعلية وتأثيرا

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 55.

[2] يمينة براهمي: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "الصدمة" لياسمينة خضرا أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، ع/01، الجزائر، 2021، ص 65.

إذا ما قورنت بالشخصية الرئيسية، إذ تقوم بوظيفة مساعدة تسهم في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه، كما تشارك في تصوير الوقائع وتوضيحها، غير أن وظيفتها تبقى أقل أهمية من وظيفة الشخصية الرئيسية. [1]

وعلى هذا الأساس، فإن الشخصيات الثانوية تؤدي دورا مهما في إضفاء الحركة والحيوية على البناء الروائي، رغم أن حضورها يكون محدودا، فغالبا ما تتسم هذه الشخصيات بالبساطة والثبات، إذ تكون واضحة الملامح، تؤدي دورا تابعا أو عرضيا لا يغير مجرى الأحداث بشكل أساسي[2]. وتسهم في إظهار الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، إذ تقوم بدور كاشف لها من خلال تفاعلها معها، فتساعد على إبراز ملامحها وتوضيح أبعادها النفسية والسلوكية، وقد تكون هذه الشخصية عاملا في تعديل سلوك الشخصية المركزية أو التأثير في مسارها، كما قد تكون شخصية تابعة لها تدور في فلكها أو تعبّر عن آرائها وأفكارها. وبذلك تؤدي الشخصية الثانوية وظيفة أساسية تتمثل في إلقاء الضوء على الشخصية الرئيسية والكشف عن أبعادها المختلفة داخل العمل الروائي.[3] ومن الشخصيات الثانية التي ذكرت بالرواية:

- الجدة:

هي شخصية إنسانية، عاطفية وفكرية وروحية، ففي الرواية تظهر الجدة كامرأة مثقلة بالأسرار، لكنها في الوقت نفسه مشبعة بالحنان والحكمة، إذ تقول عليها حفيدتها علية: "لكن جدتي في أيامها الأخيرة قبل أن ترحل عن كوكبنا إلى عالمها الآخر، قد كشفت لي كل ما تعرفه عن ماضينا".[4] حيث يكشف هذا الاقتباس عن تحمل الجدة المسؤولية وحفظها لأسرار عائلتها و، فهي لا تريد أن تموت قبل أن تسلم الحقيقة لمن تثق بها، وكأنها تؤمن بأن الإنسان

[1] شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 45.

[2] محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، ط/01، الجزائر، 2010، ص 57-58.

[3] أسماء عبد الرحيم تكروني محمد: بناء الشخصية في روايات جيل الثمانينات دراسة في نماذج مختارة، مجلة الدراسات العربية، ع/05، مصر، 2022، ص 2443.

[4] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 14.

لا يكتمل وجوده إلا بحفظ الذاكرة ونقلها مثلما قالت: " أنصتي لي جيدا.. أغلقي كل منافذ البيت واطفني أجهزة البيت المنصتة لحديثنا، لا أريد لأحد، ولا حتى روبوت البيت الحارس، أن يسمعنا ونحن نتحدث عما سأقوله لك.. لا أريد أن يخرج السر إلى أشخاص آخرين".[1]

وكانت بين الجدة وحفيدتها علاقة حنونة جدا، فقد كانت هي الأم والأب والحافظة بعد وفاة والدي علية، إذ تروي علية: "لكن جدتي أصرت على أن تحملني معها إلى بيتها الصغير"،[2] وهذا ما يعكس روح التضحية والرحمة، فالجدة رفضت أن تترك حفيدتها في "الحاضنة الفضائية"، وفضلت أن تمنحها دفء العائلة رغم كبر سنها مثلما قالت علية: "ربتني جدتي لخمسة عشر عاما. كنت قد أصبحت يتيمة الأبوين في عمر الثالثة، ولم يكن لي من مكان أعيش فيه سوى منزل جدتي. كان من الممكن أن أمضي مثل بقية الأطفال اليتامى إلى الحاضنة الفضائية، مركز الإقامة الدائم للأطفال الذين يولدون بلا عائل أو يفقدون آبائهم وهم مازالوا صغارا. لكن جدتي أصرت على أن تحملني معها إلى بيتها الصغير المطل على الجرف الصخري بالقرب من بحيرة المياه الحلوة التي يعمل فيه آلاف الروبوتات والماكينات العملاقة لتصنيع المياه الضرورية لإدامة الحياة على كوكبنا".[3] ولا تملك الجدة نظرة سوداوية تجاه الموت، بل تتعامل معه بشكل ناضج، فهي ترى الموت حقا طبيعيا، لكن الفاجعة الإنسانية الحقيقية بالنسبة لها تكمن في "النسيان" واختفاء الأثر؛ لذا غرست في حفيدتها قيم الوفاء والذاكرة الحية ليبقى الراحلون حاضرين بالصلاة والذكر عندما قالت: "قالت لي جملتها التي سأسمعها في مناسبات عديدة: "الموت حق على الجميع يا حفيدتي. ليس سيئا أن نمضي إلى وجهتنا الأخيرة، الأسوأ هو ألا يتذكرنا أحد"، [4] وتبرز خصال الجدة في تربية حفيدتها والوقوف بجانبها حتى سن المراهقة فرغم غياب والديها إلا أنها أسعدتها وحافظت عليها كما قالت: "

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] المصدر نفسه، ص 14.

[4] المصدر نفسه، ص 14.

على الرغم من حنيني الدافق لوالدي وتذكري لهما في كل أيام حياتي، إلا أنني كنت سعيدة أن جدتي كانت بقربي طوال هذا الوقت حتى أصبحت شابة".[1] وتبرز الجدة أيضا بوصفها شخصية وفية للهوية والجذور، إذ حافظت على إرث العائلة عبر الأجيال، وكانت ترى في الماضي جزءا من وجودها الإنساني، حيث يتضح ذلك عندما سلمت علية الورقة القديمة وقالت: "هو إرث نساء العائلة تركته لي أمي وبدوري أتركه لك.. هو جزء من تاريخ عائلتنا الطويل"،[2] فهذا الحرص على نقل الإرث لا يعبر فقط عن تعلقها بالماضي، بل يكشف عن خوفها من ضياع الهوية الإنسانية الذي تنتمي إليه في عالم تحكمه التكنولوجيا والآلات. ومن جهة أخرى تظهر الجدة كامرأة شجاعة ومتمردة على السلطة الزائفة، فهي تدرك أن الحقيقة مخفية عن الناس، ومع ذلك تقرر كشفها لحفيدتها رغم خطورة الأمر، إذ تقول: "كل ما يقولونه عن كوكبنا القديم (الأرض) مزيف. لقد كذبوا علينا في كل شيء. لهذا سأحكي لك ما أخبرتني به أمي. أخبرك به كي تكتشفي فيما بعد الحقيقة كاملة".[3] هنا تظهر جرأة الجدة في دفع حفيدتها للبحث عن الحقيقة والتمرد على الكوكب الرقمي هذا. وتتعمق هوية الجدة أكثر فأكثر خاصة في وصيتها الأخيرة إذ تقول لحفيدتها: "عديني حفيدتي أن لا تدفني جسدي هنا، وأن تبحثي عن الحقيقة كاملة".[4] هنا بينت الجدة مدى ارتباطها الوجداني العميق بالأصل والجذور، حنينها إلى الطبيعة والحياة البسيطة على كوكب الأرض، في مقابل العالم الصناعي البارد الذي تعيش فيه.

- الشيخ:

يعتبر هو (قائد جماعة الأنفاق الأرضية) حيث يمثل "الجسر الإنساني" الروحي والتاريخي الذي يربط بين ماضي الأرض العريق وحاضرها المدمر ومستقبلها المأمول، فهو يجسد إنسان كوكب الأرض المقاوم الذي حافظ على بقايا الحضارة وسط ركام الكوارث

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص 15.

[3] المصدر نفسه، ص 17.

[4] المصدر نفسه، ص 21.

والحروب. ففي الوقت الذي هاجر فيه العلماء والأثرياء وتركوا الكوكب يواجه الدمار والتفجيرات النووية، بقي هو وجماعته في القاع متمسكين بالأمل، فقد حفظ "وصية جده" مؤمنا بأن رسالة الاستغاثة ستصل يوما ما إلى الكوكب الرقمي عندما قال: "قالها الرجل الذي يطلقون عليه قائد المجموعة وهو يقترب ويرحب بنا.. كان أكثر الجماعة سعادة وهو يرى من يستطيع مجاراته في الحديث عن شؤون الأرض وما يحصل عليها.. لقد انتظرنا طويلا.. أخيرا أؤمن بأن رسالة جدي التي ألقاها للعالم البعيد قد وصلت لكم.. أدركنا أننا أمام حفيد لذلك الذي رمى برسالته في غيمة فضائية طالباً النجدة من كائنات الكواكب الأخرى، خاصة سكان الأرض الجديدة.. كان كل واحد من الأحفاد يقوم بالفعل نفسه متأملا أن تصل الرسالة ذات يوم إلى أحد مثلي.."[1] وكان الشيخ هو "الناجي الوحيد" مؤقتا من مرض النسيان الذي ضرب سكان الأرض عند سن الثلاثين نتيجة الإشعاعات والحروب ،ورغم إدراكه التام بأنه يسير نحو مصيره المحتوم وفقدان ذاكرته خلال أشهر قليلة، إلا أنه لم يستسلم لليأس، بل استغل ما تبقى من ذاكرته ليرشد "علية" ويقود جماعته نحو الخلاص حين قالت علية: "عرفنا بنفسه وأخبرنا أن نناديه بالشيخ. قال إنه الوحيد الذي لم يدخل بعد في موجة مرض النسيان... ولكنه لن يتخلص منه بسهولة، فما هي إلا أشهر وسيكون قد دخل مثلهم في دوامة فقدان الذاكرة التدريجي"،[2] فالشيخ كان يود أن يجد العلماء حلولا لمشاكل الأرض وإنقاذها مما آلت إيه اليوم كما قال: "لكنهم بدلا من أن ينظروا في حلول لمعالجة مشاكل الأرض، تركوها كما هي عليه وغادروا الأرض نحو كواكبهم الجديدة. تركونا لوحدنا نبحث عن أماكن تأوينا. لم نجد غير قاع الأرض نفسها"،[3] إلا أنه شخصية أظهرت عقلانية كبيرة، فقد استجاب بسرعة لـ "علية" والروبوت، فلم يتعامل معهم بريبة أو خوف كغرباء قادمين من الفضاء، بل فتح لهم قلبه ومغاراته، وتسلم

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 52.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 53.

منهم زمام المبادرة وغدا هو القائد الميداني الذي يتبنى البيوت الجديدة التي يصنعها الروبوت،[1] ويقنع مع علية البشر الخائفين بالخروج من عتمة الأنفاق إلى نور السطح لبدء مسيرة إعمار الأرض.

المبحث الثاني: تحليل البعد البيئي في الرواية

لم تكتفي رواية "العائدون من الأرض" بسرد مغامرة فضائية، بل جعلت من البيئة بمعناها الواسع ركيزة أساسية قام عليها البناء الروائي بأكمله. فمنذ الصفحات الأولى يجد القارئ نفسه أمام عالمين متناقضين؛ عالم "الأرض الجديدة" بكل ما يحمله من تقنية متطورة وحياة منظمة، وعالم "الأرض القديمة" بما آلت إليه من خراب وقسوة وصمت. وقد أظهرت الرواية البيئة الطبيعية والاجتماعية على أنها كانت مختلفة بين عالمين يمثل كل منهما مصيرا محتملا للإنسان إما أن يتناغم مع بيئته ويبني فيها، وإما أن يدمرها ويتركها نهبا للخراب وجاءت كما نذكر:

- **الكوكب الجديد:**

هذا الكوكب يسمى بكوكب "كليبر" وهو كوكب شبيه بعالم الروبوت كما ذكر: " في كوكبنا الذي ينتمي للمجرة المسماة بكليبر... أعرف أنه اليوم لم يعد هناك فرق كبير بين الروبوت والبشر، ولكنني أرفض أن تسمى الروبوتات بالأرقام أيضاً. كلنا لنا حياة ويجب أن تكون لنا أسماء نختارها ونحب نطقها، لا تلك التي تجبرنا عليها المؤسسات الكوكبية وسجلات ولادة تسيطر عليها كمبيوترات عملاقة."،[2] كان الناس يعيش بهذا الكوكب على برنامج ونظام إلكتروني ورقمي كما وصفت لنا إحدى البيوت بهذا الكوكب عندما قالت: " لكن جدتي أصرت على أن تحملني معها إلى بيتها الصغير المطل على الجرف الصخري بالقرب من بحيرة المياه الحلوة التي يعمل فيه آلاف الروبوتات والماكينات العملاقة لتصنيع المياه الضرورية لإدامة

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

الحياة على كوكبنا"،[1] وبفضل التقدم والتطور الذي توصل إليه هذا الكوكب فقد كان الناس يعيشون لمدة طويلة من العمر عندما قالت: " لا بد أن أقول إن أبناء كوكبنا أصبحوا يعيشون لسنين طوال بفضل التكنولوجيا والحياة المريحة التي اكتشفوها وطورها العلماء، ووصلت في كوكبنا إلى أرقى درجاتها من الرقي والتحسن. لهذا تجاوزت جدتي المائة سنة وهي بذاكرة قوية وجسد متمرن نوعاً ما"،[2] ففي هذا الكوكب كان النظام مختلف على مانعرفه نحن فالأبناء اليتامى لهم حاضنة فضائية تحويهم مثلما قالت: " كان من الممكن أن أمضي مثل بقية الأطفال اليتامى إلى الحاضنة الفضائية، مركز الإقامة الدائم للأطفال الذين يولدون بلا عائل أو يفقدون آبائهم وهم مازالوا صغارا"،[3] وحتى الموتى فلا يدفنون كما هو معروف فلهم طريقة دفن مختلفة عندما قالت: " اليوم الوحيد خلال هذه الأشهر الثلاث الذي خرجت فيه بعيداً عن البيت، ذلك لكي أعود بجثة جدتي من معرض الأجساد الفانية كما يسمون المقابر هنا في كوكبنا. وهي في الحقيقة ليست بهيئة المقابر المعتادة، بل عبارة عن مستودع ضخم يحفظون لك فيه الجسد المتوفى بالهيئة والشكل الذي ترغب به"،[4] ولهذا فقد قررت علية دفن جدتها في كوكب الأرض تحت شجرة كما قالت: "وعندما تستطيعين (لا أعرف كيف؟) أن تحمليني معك إلى الأرض القديمة وتدفنيني هناك تحت جذر شجرة كبيرة. لا تنسي أن تأخذي معك ورقة الكتاب السري"،[5] وهذا الكوكب الجديد لم يكن إسمه في بادئ الأمر بالكوكب الجديد لكن "مانا" تم اكتشافه عندما كان العلماء يبحثون عن كواكب شبيهة أو قريبه من صفات كوكب الأرض يمتلك خصائص بيئية مماثلة عندما قالت: " كوكبنا لم يكن يسمى بـ الأرض الجديدة، بل كان اسمه (مانا) كيتي رواني تيمنا بهيئة جزيرة باسكوا المعروفة ومعناه العين التي تنظر إلى السماء. كان ذلك عام 2005، ورأوا فيه الأكثر قرباً من طبيعة الأرض. كان العلماء يبحثون

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] المصدر نفسه، ص 14.

[4] المصدر نفسه، ص 19.

[5] المصدر نفسه، ص 21.

عن كواكب صخرية تضم المياه في جوفها وتعيش الأحياء على سطحها، لكي نستطيع الاستمرار في الحياة عليه. لكنهم وإن اكتشفوه في ذلك العام، إلا أنهم في الواقع لم يصلوا إليه إلا عام 3000"،[1] وقد كان هذا الكوكب يتعرض أحيانا لعواصف ترابية مثلما قالت: "الرجاء لمن يستمع لي في الأجرام السماوية البعيدة أن يعرف أنني أكلمه من كوكب الأرض.. مازلنا نعيش هنا.. لا تنسونا مازلنا نعيش مازلنا نعيش.. مازلنا نعيش...حتى تنتهي جملته المكررة بأصوات مبهمة تشبه صراخ طيور عملاقة في عاصفة ترابية من تلك التي تجتاح كوكبنا الجديد بين حين وآخر"،[2] وكان يتميز بنظام مراقبة شديد عندما قالت: " لم تكن رغبتي بأقل من رغبة جدتي بمعرفة حقيقة ما جرى كنت على يقين بأن أي سؤال خطير سيكشف نواياي وخططي بمعرفة ما جرى للأرض القديمة، وهذا معناه المراقبة الدائمة من منظومة الحراسة الكونية، وهي الحراسة المشددة التي لا تنام لها عين كل شيء تراقبه آلات حساسة وذكية ابتكرناها لنحرس حدود كوكبنا الجديد، والذي يحرسنا أيضاً ويراقب كل ما نفعله ويوثق لكل شيء من تحركاتنا وأعمالنا حتى تلك التي تبدو صغيرة وتافهة."،[3] فقد كان ممنوعا أن تبحث عن أي معلومة تخص كوكب الأرض فإذا سألت عنها كانت هذه إجابتهم الوحيدة: "، يقولون لي الأرض القديمة كوكب اندثر وتفجر وضاع مساره في المجرة الشمسية القديمة. وأن القليل الذي بقي من ناسها هاجروا حتى الأرض الجديدة وتوطنوا وصنعوا مجد وعظمة كوكبنا الجديد)...هم يصرون على دمار الأرض القديمة قد جاء على كل بشرها وحيواناتها ونباتاتها"،[4] حتى أنه غير مسموح لهم بالمغادرة واكتشاف ما يحيط بهم خارج هذا الكوكب عندما قالت: "ولن يسمحوا لأي أحد بالخروج من حدود الكوكب إلا بأمر خاص. ولا أمل لنا بإذن خاص

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص 23.

[4] المصدر نفسه، ص 24.

التعليمات صريحة، لا أحد يحصل على فيزا خروج خاصة، والحجة هي أمن الكوكب من الغزوات والأمراض الفاتكة التي تأتي من الخارج"،[1]

وكانت البيوت في هذا الكوكب الجديد مبنية على تصميم واحد كما ذكرت علية: "بيت جدتي يقع بالقرب من بحيرة المياه العذبة كل بيوت الكوكب مبنية على طراز واحد، حجارتها من معدن (الماتا كيتي) وهو المعدن المغلف الأرضية الكوكب، يجمع ما بين الصخر والفولاذ، ولكن تقنيات المصانع الفضائية قد جعلت منه رمزاً للكوكب ومادة أساسية في بناء وتصنيع كل شيء...نعيش في بيضة كبيرة قشرتها براقة وشفافة، نتواصل مع كل ما يحيطنا في الفضاء عبر الأجهزة الكونية المراقبة. كل شيء يمر فيها وعبرها، ولا مجال لدخول وخروج من الكوكب دون إذن خاص عليه فالشرطة الفضائية هي الوحيدة التي تجوب أرجاء الفضاء المحيط بكوكبنا"،[2] لهم نظام خاص كما قالت: "أما نحن في كوكب الأرض الجديدة فقد صنعنا نظاما خاصا بكل الأحياء الموجودة على سطحه. نعيش في نظام متقارب مع الروبوت، وهو الإنسان الآلي الذكي القادر على إدارة حياتنا كلها دون تدخل منا، وهذا ما ساعدنا على الخوض والانتباه لمسائل أخرى. هناك مكائن وروبوتات مختصة بكل شيء تصنيع الغذاء تحلية المياه، تنقية وتنشيط الهواء أنا شخصياً مثل غيري من سكان الكوكب الجديد، أتنقل في الكوكب تحيطني غلالة خاصة لا أنزعها حتى ساعة النوم. وكل تنقلاتي تكون عبر عجلات متطورة ذكية تعمل آليا وتخطط ليومك بدون أي تعب أو نشاط كبير لهذا السبب نعيش أعواما طويلة. الآلات المنشطة تعمل على تحسين البشر في كوكبنا، إذ أن الجميع يعمرون طويلاً بفضل الأعشاب المنشطة والأدوية المبتكرة ونظام الروبوت المحسن الذي يراعي أجسادنا وذاكرتنا ويتدخل في تقديراتها وأعمارها. لا بد من القول إن لكل واحد فينا روبوته الخاص المتصل بدوره بالروبوت الأعظم المسيطر على شبكات الأرض الجديدة، وهو نظام يعمل بدقة ولا يحتاج

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 37.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

للكثير من الطاقة. كل روبوت يعمل بطاقة داخلية لا تنضب، ولا يحتاج لبطارية تشحنه أو أية طاقة خارجية كل شيء يعمل بنفسه ويجيد نفسه بنفسه. لهذا وصل كوكبنا أن يكون القدوة والأول في ترتيب الأجرام السماوية المتطورة"،[1] وهنا يظهر جليا كمية التطور التي توصل إليها البشر على هذا الكوكب الجديد، إلا أن "علية" قررت أن تكسر هذه القاعدة وتبدأ رحلتها بحثا عن كوكب الأرض القديمة مع صديقها "شهرزاد" الروبوت عندما انطلقت بسفينتها نحو الفضاء كما قالت: "كنا ننظر بقلق لجهة السماء، لا شيء نترقبه غير انتظار اللحظة التي تنطلق فيها أخيرا نحو المجهول نحو فضاء شاسع ومحير لنا... كنا وسط ليل مغرق بالنجوم والكواكب السيارة".[2] فرغم ما يحمله الكوكب الجديد من تقنيات ورفاهية إلا أنه مجرد بديل زائف عن الوطن الحقيقي، فالأرض الأصل لا تستبدل ولا تنسى مهما طال الغياب، وهو ما جعل "علية" تختار المجهول، لأن الحرية الحقيقية لا تكون إلا حيث تكون الجذور.

والرموز البيئية التي تجلت هنا:

– كوكب كليبر / مانا (الكوكب الجديد): يرمز إلى بيئة صناعية متقدمة تخضع كليا للتكنولوجيا، وتظهر انفصال الإنسان عن الطبيعة الأصلية.

– المياه العذبة وبحيرة المياه الحلوة: ترمز إلى مورد الحياة الأساسي، لكنها هنا تنتج صناعيا بواسطة الروبوتات.

– الجرف الصخري والصحراء/الفضاء الخارجي: يرمزان إلى العزلة والانفصال عن الأرض الأصلية، وإلى اتساع الكون.

– العواصف الترابية: ترمز إلى اضطراب البيئة وعدم استقرارها، وقد تعكس أيضًا هشاشة هذا النظام البيئي رغم تطوره التكنولوجي.

---

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 25.

[2] المصدر نفسه، ص 39–40.

– الأرض القديمة: رمز للطبيعة الأصلية والهوية البيئية الحقيقية، مقابل الكوكب الجديد المصطنع، وتمثل الحنين إلى البيئة الطبيعية غير الملوثة بالتكنولوجيا.

– المعدن (الماتا كيتي): يرمز إلى بيئة صناعية صلبة تحل محل العناصر الطبيعية.

– الروبوتات والآلات: ترمز إلى بيئة مصطنعة بالكامل تدار آليا، حيث تحل التقنية محل التوازن الطبيعي في الحياة.

– الفضاء الخارجي والكواكب البعيدة: ترمز إلى بيئة طبيعية أخرى خارج النظام المغلق.

وتلعب هذه العناصر البيئية دورا مهما في تطور الحبكة الروائية، حيث يمثل الفضاء الخارجي مجالا لانتقال الأحداث نحو المغامرة والاستكشاف وفتح أفق جديد أمام الشخصيات. أما العواصف الترابية فتؤدي وظيفة تعقيد الأحداث وإبراز مخاطر البيئة وعدم استقرارها، مما يدفع الشخصيات إلى اتخاذ قرارات حاسمة. في حين يشكل الجرف الصخري فضاء رمزيا للانعزال والتأمل، وغالبا ما يكون نقطة تحول في مسار السرد تمهد لبداية تغيير أو انطلاق نحو أحداث جديدة.

– كوكب الأرض القديم:

لقد ظهرت الأرض في الرواية أو كما يسمى بالكوكب القديم، كما قال: "كلنا جئنا من كوكب الأرض، ذلك الكوكب الأصل ومنشأنا الأول السلطات الكوكبية تسميه بـ الأرض القديمة لتفريقه عن كوكبنا الجديد الذي يسمونه (الأرض الجديدة)"،[1] على أنها مكان قد آلت منه الحياة والبشرية بعدما كانت يعج بالحياة والإستقرار، لكن وبفعل الحروب النووية وتدخل الإنسان، صار كوكبا مأهولا مثلما قال: "أجلس اليوم عند متنزه مهجور في الكوكب المسمى، الأرض، وأسجل هذه الحكايات متذكرا صديقتي علية"،[2] حيث نرى أن البيئة الطبيعية بالأرض أصبحت

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 10.

مهجورة ومهمشة، لكن الأرض وكما تعرف كانت كما قال: "عبارة عن كرة بيضوية، كتلة صخرية وترابية يمتلئ جوفها بالمياه وهو ما يساعد بالبقاء على قيد الحياة للكائنات التي تحيا على تربتها صغيرها وكبيرها دون استثناء... الأرض ككوكب تكون من سديم شمسي وهو عبارة عن كتلة قرصية الشكل من الغبار والغاز تبقت من تكون الشمس... في بادئ الأمر كانت الأرض منصهرة، ثم بردت طبقتها الخارجية؛ لكي تكون قشرة صلبة وذلك عندما بدأت المياه تتراكم في الغلاف الجوي للأرض. ثم تكون القمر بعد ذلك بوقت قريب، وذلك عندما اصطدم جرم سماوي بحجم كوكب المريخ بالأرض في صدمة عارضة عند ذلك اندمجت أجزاء من هذا الجرم السماوي مع كوكب الأرض، وتناثرت أجزاء منه في الفضاء، ولكن أجزاء من هذا الجرم استقرت في المدار وكونت القمر. وقد نتج عن النشاط البركاني وانبعاث الغازات من كوكب الأرض تكون الغلاف الجوي الأساسي للكوكب"[1]، إلا أن الأرض بدأت تعاني من بعض المشاكل البيئية حيث يقول: " كنا قد قرأنا في تقارير (الويكيبيديا (2000) بأن الأرض في تلك الفترة قد بدأت تعاني من معضلات بيئية ومن تدخل البشر في منظومتها، وقد يصل اليوم الذي تنتهي فيه الحياة على الأرض بسبب من نقص الأوكسجين والغذاء وجفاف المياه نهائيا"،[2] ولما وصلت "علية" مع صديقها الروبوت "شهرزاد" إلى كوكب الأرض رأت في بادئ الأمر أنها على شكل كرة بيضوية كما أشارت: "لا شيء يدعو للتأمل. كرة عملاقة لا تنقص أو تزيد عن كوكبنا الجديد، تحيطها غيمة أثيرية هائلة لم نميزها بعد ولم نعرف سببها. الكرة البيضوية تقترب منا بسرعة كبيرة هي سرعة اقترابنا منها... لم نتأخر كثيرا حتى شعرنا باصطدامنا بالتربة الصخرية للأرض هاجت قشرتها وغطتنا تماما... خرج الروبوت وما أن وطأ تربة الأرض حتى رأيت كل أجهزته تشتعل بألوان خضراء. كانت الدليل على أننا في مناخ قريب مما تركناه هناك في كوكبنا البعيد"،[3] والملفت من الأمر أن الأرض كانت خالية

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 42.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

[3] المصدر نفسه، ص 44.

تماما من البشر أو أي شيء يدل على الحياة مثلما قالت: "عندما وصلنا إلى الأرض، كان كل شيء صامت لا صوت ولا حركة تدلنا على الوجهة الصائبة. أين هي الأرض حقيقة؟، أين ناسها وحيواتها الأخرى؟ لا أثر لنباتات وأحياء سمعت بوجودها. لا شيء سوى التربة والغبار والأفق المعتم... بعد أن نزلنا على تربتها، في مكان كان يسمى سابقا (شبه الجزيرة)، لم نر أحدا ولم نوفق بالعثور على ما يدل على الحياة عليها. أرض قاحلة وعواصف ترابية تهب بين حين وآخر وتجبرنا على البقاء الأيام في مركبتنا... كانت الريح الشديدة والعواصف الترابية الهائجة هي كل ما كنا نلقاه في بحثنا الدائم"،[1] وبعد البحث الدائم لعلية وصديقها على مؤشرات الحياة على كوكب الأرض يظهر لهم كائنا بشريا من فوهة الأرض محدثا لهم أن العديد من البشر يعيشون الآن تحت باطن الأرض ولما نزلوا لاستكشاف الأمر قالت: "أن تروا ما رأيت تحت الأرض ستصابون بالدهشة والخرس ولن تعرفوا التفكير بما سيجيئ بعد حين؟ لقد رأيت مدنا كاملة ببيوتها وساحاتها وناسها هناك تحت الأرض تماما في أسفل مغاراتها وأنفاقها...لقد تحول سطح الأرض إلى مساحة جرداء يعتاش عليها الغبار والريح والعواصف، أما باطنها فقد تحول إلى المركز البشري. كانت الأرض وكأنك تنظر لها في صورة معكوسة. الأسفل إلى الأعلى والأعلى يقطن في الأسفل. لقد رجعت الأرض إلى عهدها الأول قبل آلاف الملايين من السنين عندما درسنا في المدارس عن إنسان النياندرتال في العصور الحجرية والبشر الأجداد في مغاراتهم وحياتهم البدائية."،[2] لكن ما السبب وراء هذا؟ ما الذي حدث هنا؟ كانت تتساءل "علية" عما صارت عليه الأرض أرض أجدادها؛ فظهر لها الشيخ الكبير قائد الجماعات البشرية هذه التي تستوطن باطن الأرض عندما قالت: "في الختام وصلنا عند صخرة كبيرة تركنا عندها رجلنا الغريب وراح إلى الداخل ينادي على ناسه. بظرف ثوان اجتاحتنا مجاميع بشرية لا نعرف من أين خرجت لنا؟... قالها الرجل الذي يطلقون عليه قائد المجموعة وهو يقترب ويرحب بنا. كان أكثر الجماعة سعادة وهو يرى من يستطيع مجاراته في الحديث

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 45-46.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

عن شؤون الأرض وما يحصل عليها."،[1] وقال: "هربنا من السطوح وعشنا تحتها. نقتات على ما نجده من نباتات حتى انقرضت أو كادت أن تنقرض وعن حيوانات نأكلها حتى راحت معظمها لحما للأكل وجلودها ملابس نتدفأ بها وترتديها... لقد وجدنا أنفسنا في ظرف سنين بلا حماية ولا أرض حقيقة ولا ذاكرة تدوم... وها نحن نهيم بذاكرة مفقودة ورغبات قليلة للعيش..."،[2] ومن هنا يمكننا القول أنه كلما أهمل الإنسان أرضه انعكس ذلك خرابا في بيئته وضياعا في هويته.

وتقدم الرواية العلاقة بين الإنسان والأرض بوصفها علاقة اغتراب عميق تحولت فيها الأرض الجديدة إلى فضاء بديل فاقد للمعنى الحقيقي للوطن، إذ عاش البشر بعد هجرتهم في بيئة اصطناعية أشبه بـ"منفى مقنن" يخضع لسيطرة "الكمبيوتر الأعظم"، وهو ما يجعل من هذا الفضاء مجرد سجن مريح أكثر منه وطنا حقيقيا. إلا أنه ورغم هذا الواقع المزيف وفي مقابل تتجلى الجدة بوصفها إحدا رموز الإنتماء حيث ظلت متمسكة بذاكرة الأرض القديمة معلنة رفضها للانفصال عنها حين تؤكد أن إرثها العائلي جزء من تاريخ ممتد لا يمكن قطعه أو استبداله، وهو ما يظهر في قولها: "...هو إرث نساء العائلة تركته لي أمي وبدوري أتركه لك. هو جزء من تاريخ عائلتنا الطويل"؛[3] لتصبح بذلك حاملة لذاكرة الأرض ومعنى الانتماء الحقيقي الذي يقاوم جل أنواع اقتلاع الهوية التي يحاول نظام الكوكب الجديد فرضها وترسيخها في نفوس أبنائه.

وقد أظهرت الرواية لنا مسار الإنسان الذي ساهم في تدمير البيئة وتحويل الأرض إلى فضاء منهك بفعل الحروب والتجارب العلمية غير المسؤولة، عندما ذكر الشيخ قائلا: "لكنهم بدلا من أن ينظروا في حلول لمعالجة مشاكل الأرض، تركوها كما هي عليه وغادروا الأرض

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 51.

[2] المصدر نفسه، ص 54.

[3] المصدر نفسه، ص 15.

نحو كواكبهم الجديدة..."،[1] وهو ما يكشف أن العلاقة بين الإنسان وأرضه لم تكن علاقة رعاية بل علاقة استنزاف وانسحاب. وقد أكدت لنا النصوص أن هذا الخراب لم يكن مفاجئا، بل نتيجة تراكمات بيئية خطيرة أشارت إليها التقارير العلمية القديمة التي حذرت من نقص الأوكسجين وجفاف المياه، مما عمق لدينا فكرة مسؤولية الإنسان عن انهيار بيئته عندما ذكر: "كنا قد قرأنا في تقارير (الويكيبيديا (2000) بأن الأرض في تلك الفترة قد بدأت تعاني من معضلات بيئية ومن تدخل البشر في منظومتها، وقد يصل اليوم الذي تنتهي فيه الحياة على الأرض بسبب من نقص الأوكسجين والغذاء وجفاف المياه نهائيا".[2] غير أن الرواية كانت قد أظهرت لنا جانب إنساني آخر لاسترجاع الأرض من خلال رحلة العودة إلى الأرض، حيث تحولت هذه العودة إلى إعادة بناء وإحياء، تجسدت في غرس البذور وتشجير الأرض واستعادة الحياة الطبيعية عندما قال: "كل أرض عتيقة تنبت في تربتها شجرة مورقة هي أرض جديدة"،[3] حيث يصبح فعل بسيط وسيلة لإعادة تعريف الأرض نفسها وإحياءها من جديد.

وفي النهاية، تتبلور العلاقة بين الإنسان والأرض بوصفها علاقة هوية وانتماء قبل أن تكون علاقة مكان، إذ تتحول البطلة "علية" من كائن رقمي يحمل اسما رقميا إلى إنسان مندمج في أرضه الأصلية، فتقول: "...فهي (الأرض) وحسب الكوكب الحبيب، أرضي وأرض أجدادي"،[4] في دلالة واضحة على أن العودة إلى الأرض هي استعادة للذات المفقودة في الكوكب الجديد. وفي تصريح أخير لها تقول: "أشعر أنني ولدت من جديد"،[5] لتبين لنا أن الأرض في هذه الرواية ليست وعاء يحتوي الإنسان، بل هي المرآة التي يرى فيها وجهه الحقيقي، والجذر الذي لا يكتمل وجوده إلا بالاتصال به. ومن هنا تغدو رحلة "علية" من

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 52-53.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

[3] المصدر نفسه، ص 59.

[4] المصدر نفسه، ص 57.

[5] المصدر نفسه، ص 59.

الكوكب الجديد إلى الأرض القديمة رحلة في جوهرها من الاغتراب إلى الانتماء، ومن الرقم إلى الاسم، ومن البيئة الاصطناعية المصنعة إلى التراب الحي الذي يعيد للإنسان إحساسه بأنه جزء من هذا الكون.

ومن الرموز البيئية التي ذكرت هنا:

– الأرض القديمة: ترمز إلى البيئة الطبيعية الأصلية التي كانت مصدر الحياة، وتمثل أيضا الانتماء والهوية البيئية المفقودة.

– سطح الأرض القاحل والعواصف الترابية: يرمز إلى التدهور البيئي والخراب الناتج عن تدخل الإنسان وإهماله للطبيعة.

– باطن الأرض (المدن تحت الأرض): يرمز إلى انحسار الحياة الطبيعية وتحول الإنسان إلى العيش في بيئة اصطناعية بديلة بسبب تدمير السطح.

– الغبار والرياح القاسية: ترمز إلى موت البيئة الخارجية وتحولها إلى فضاء غير صالح للحياة.

– الصخور والمغارات والأنفاق: ترمز إلى العودة إلى نمط عيش بدائي نتيجة انهيار النظام البيئي الطبيعي.

– الأرض كـ"مرآة مقلوبة": ترمز إلى اختلال التوازن البيئي وانعكاس الحياة الطبيعية إلى شكل مشوه.

– غرس البذور وتشجير الأرض: يرمز إلى إعادة إحياء البيئة واستعادة الحياة الطبيعية بعد الخراب.

تؤدي هذه الرموز البيئية دورا كبيرا في تطور الحبكة، إذ تستخدم الأرض القديمة وسطحها القاحل والعواصف الترابية وباطن الأرض لتشكيل مسار الأحداث بين ثلاث مراحل

أساسية: الانهيار البيئي، ثم الانعزال والعيش البديل تحت الأرض، وأخيرا محاولة استعادة الحياة الطبيعية. كما تسهم هذه الرموز في دفع الشخصيات، خاصة "علية"، نحو رحلة البحث عن الحقيقة وفهم ما حدث للأرض، مما يحرك الحبكة من الغموض إلى الاكتشاف، ومن الخراب إلى الأمل وإعادة الإحياء.

المبحث الثالث: الربط بين البعد الإنساني والبيئي في الرواية

تجسدت لنا رواية "العائدون من الأرض" العلاقة الوثيقة بين الإنسان وبيئته، إذ لا يفهم أحدهما إلا من خلال الآخر. فالأرض ليست مجرد فضاء جغرافي تدور فيه الأحداث، بل هي أم حاضنة يرتبط بها الإنسان وجدانيا وحضاريا وروحيا. وتتبع هذه العلاقة من عمق التاريخ؛ فجدة البطلة "علية" التي عاشت أكثر من مئة وخمسين عاما، لم تنقطع يوما عن كوكب أجدادها في خيالها ووجدانها. وقد ورثت حفيدتها هذا الشعور بالانتماء العميق للأرض، فمضت إليها رغم كل العقبات، تحمل معها رفات جدتها لتدفنها في تراب الأرض الأصل. وتبلغ هذه العلاقة أوجها في خاتمة الرواية حين تكتب علية: "لا شيء أكثر متعة وأنت تراقب نمو شجرة جديدة من لا شيء. بروز رأسها، أوراقها وتمسك جذرها بالتربة."[1] فنمو الشجرة هنا لا يعبر عن انبعاث الطبيعة وحسب، بل يعبر عن انبعاث الإنسان معها، وتجدد الأمل في قلبه. وقد جمع الكاتب بين الحدثين في صورة واحدة: دفن جدة علية تحت جذر النخلة، لتصير الشجرة رمزا لاستمرار الحياة، والإنسان جزءا من دورة الطبيعة لا سيدا عليها عندما قالت علية: "أطمئن اليوم أن الشجرة النخلة التي تضم تحتها رفات جدتي ستنمو بسهولة، لا شيء سيحد من نموها وحملها للثمار."[2] كذلك يتجلى التكامل بين الإنسان والبيئة في مشهد الهبوط على الأرض القديمة، حين تصف علية شعورها لحظة وطأت قدماها ترابها: "نزلت بقدمي اليمنى مغلفة بغلالتي الحصينة، كأنني رائدة فضاء تستكشف عن آثار مطمورة في فضاء مجهول. أتمدد

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 58.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

بكل جسدي وأرفع ذراعي عاليا صوت الأجرام البعيدة... أخيرا أستطيع القول إنني على كوكب الأرض القديمة. الآن أستطيع أن أكلم جدتي في عالمها الآخر وأزف لها نبأ وصولي لكوكب أجدادها. الآن وحسب يمكنني القول إن مغامرتنا قد بدأت.."[1] إن هذا التواصل الجسدي والروحي مع الأرض يعكس رؤية الكاتب على أن الإنسان لا يكتمل إلا باتصاله ببيئته الأصيلة.

كما تحمل الرواية رسالة بيئية وإنسانية واضحة، تحذر من انفصال الإنسان عن الطبيعة وتبين العواقب الكارثية لهذا الانفصال. فحين يتخلى البشر عن أرضهم ويفرون منها بدل إصلاحها، فهوم لا يدمرون البيئة فحسب، بل يدمرون أنفسهم ويفقدون هويتهم الجماعية حيث يوضح "الشيخ"، قائد جماعة الأنفاق الأرضية، سبب هذا الانهيار الحضاري بجلاء عندما قال: "لكنهم بدلا من أن ينظروا في حلول لمعالجة مشاكل الأرض، تركوها كما هي عليه وغادروا الأرض نحو كواكبهم الجديدة. تركونا لوحدنا نبحث عن أماكن تأوينا."[2] وهذا هو قلب الرسالة: إن الهروب من المسؤولية البيئية لا يفضي إلا إلى الخسارة؛ خسارة الأرض وخسارة الإنسان لنفسه. فقد آل مصير من بقوا على الأرض إلى الانزواء في مغارات أسفل الأرض، يعانون من "مرض النسيان" والذي يشير إلى انقطاع الإنسان عن جذوره وتاريخه وهويته: كما ذكر "ما أن تتم الثلاثين من العمر حتى نسقط في بحر النسيان الذي يجرنا الواحد بعد الآخر... كل هذا من تأثير الدمار والحروب والتجارب النووية التي جرت على الأرض قبل قرون. نحن الأحفاد نحصد ما جناه الأسلاف."[3] في المقابل، قدمت الرواية أهم حل بيئي للأرض يقوم على التعمير والعودة والإصلاح، حيث تدرك علية، وهي الغريبة القادمة من كوكب آخر، أن واجبها أن تعيد الحياة لكوكب الأرض لا أن تهرب منها عندما قالت: "اليوم أفهم تماما الغاية من العلوم، لا تلك التي تدمر بل كل تلك التي تساعد على البناء والتطور. لولا العلم لما كان بالإمكان اليوم العثور على الروبوت الصديق وهو المنشغل أكثر مني ومن الآخرين بتعمير ما

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 44.

[2] المصدر نفسه، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ص 52.

خربه البشر."[1] فالرسالة الأدبية للمؤلف تظهر جليا في التحذير من التدمير البيئي، والدعوة إلى تحمل المسؤولية الحضارية والإصلاح.

حيث تسهم هذه العلاقة العميقة بين الإنسان والبيئة في منح القارئ طبقات متعددة من الفهم حول البيئة والأرض، فالقارئ يدرك القارئ أن "الأرض القديمة" في الرواية ليست مجرد كوكب في الخيال العلمي، بل هي صورة عن كوكبنا الحقيقي وعلاقتنا به. ومن أشد المشاهد تأثيرا مشهد السكان تحت الأرض، إذ يرى القارئ بعيون علية: "لقد رأيت مدنا كاملة ببيوتها وساحاتها وناسها هناك تحت الأرض تماما في أسفل مغاراتها وأنفاقها. لقد تحول سطح الأرض إلى مساحة جرداء يعتاش عليها الغبار والريح والعواصف، أما باطنها فقد تحول إلى المركز البشري."[2] فهذا الانقلاب الجغرافي هو استعارة مشحونة بالدلالة على أن الإنسان إذا ما اعتدى على طبيعته، سيضطر أن يتوارى في جوف الأرض، وتتحول قيمته من بان على السطح إلى مختبئ في الأعماق. كما تحرك الرواية في القارئ مشاعر الحنين والأمل معا. فالرحلة من الكوكب الجديد إلى الأرض القديمة هي رحلة نحو الجذور والهوية. ولذلك تختم علية روايتها بهذه الكلمات المفعمة بالتفاؤل: "أشعر أنني قد ولدت من جديد... أشعر برغبة أن يطول الوقت إلى ما لا نهاية حتى أحكي عن البشر والحيوانات والنباتات الجديدة التي بدأت تنمو وتعيش على تربة الأرض، كوكبنا الأبدي."[3] فيمكن أن يخرج القارئ بتساؤل جوهري: ماذا يتبقى للإنسان حين يفقد أرضه؟ وما مسؤوليتنا تجاه الكوكب الذي نعيش عليه؟ وقد صاغ المؤلف هذه الفكرة في عبارة تلخص روح الرواية كلها: "كل أرض عتيقة تنبت في تربتها شجرة مورقة هي أرض جديدة."[4] فالمسؤولية نحو البيئة واجب حضاري على إنسان يعيش على وجه الأرض.

---

[1] عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

[3] المصدر نفسه، ص 59.

[4] المصدر نفسه، ص 59.

خـــاتمـــة

خاتمة:

من النتائج المتوصل إليها:

– إتضح أن أدب الخيال العلمي ليس مجرد سرد لأحداث مستقبلية أو عوالم متخيلة، بل هو جنس أدبي يقوم على المزج بين العلم والتخييل، ويعكس تحولات الواقع العلمي والتكنولوجي. كما تتجلى أهميته في كونه أدبا استشرافيا يطرح أسئلة حول مستقبل الإنسان، ويكشف انعكاسات التطور العلمي على الحياة الإنسانية والبيئية.

– تجلى البعد الإنساني من خلال معالجة قضايا الهوية، والحرية، والعلاقات الإنسانية، والبحث عن المعنى في عالم تهيمن عليه التكنولوجيا. كما يعكس هذا البعد صراع الإنسان مع التحولات التي تهدد جوهره الإنساني وقيمه.

– أظهرت الدراسة تجلي البعد البيئي من خلال تصوير أثر التلوث والتدهور البيئي والكوارث الطبيعية الناتجة عن تدخل الإنسان في الطبيعة مثل الحروب. وقد وظفت الرواية هذا البعد للتنبيه إلى خطورة الإهمال البيئي وضرورة حماية التوازن الطبيعي.

– خلصت الدراسة إلى أن العلاقة بين الإنسان والأرض في الرواية علاقة عميقة تقوم على الانتماء والهوية، فكلما ابتعد الإنسان عن أرضه الأصلية فقد جزءا من ذاته، بينما تعني العودة إلى الأرض استعادة الجذور وإعادة بناء الهوية الإنسانية والبيئية معا.

– أظهرت الدراسة أن الهيمنة المفرطة للآلة والأنظمة الذكية يؤدي إلى تراجع التواصل الإنساني، وتهديد الحرية الفردية، وإضعاف الذاكرة والهوية.

– خلصت الدراسة إلى أن حماية الأرض هي مسؤولية الإنسان، إذ لا يمكن ضمان استمرارية الحياة دون الحفاظ على التوازن البيئي وصون الموارد الطبيعية. مما يجعل الإنسان مطالبا بالوعي بخطورة أفعاله تجاه البيئة، والعمل على إصلاح ما أفسده للحفاظ على حق الأجيال القادمة في العيش في بيئة سليمة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. عبد الهادي سعدون: العودة إلى الأرض، أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، ط/02، العراق، 2020.

المعاجم:

2. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط/01، تونس، 1986.
3. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة–مصر، مادة (ب و أ)، د.ت.
4. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجل، ط/01، 1991، (مدة خيل)، مج/2.
5. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، د.ت.
6. مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط/02، بيروت–لبنان، 1989.
7. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1968.
8. محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر بيروت–لبنان، 1994، (مدة خيل)، مج/14.

الكتب المترجمة:

1. إيريك فروم: حب الحياة نصوص مختارة، تر: حميد لشهب، تق: راينر فونك، مؤسسة جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط/1، بيروت–لبنان، 2016.

2. ديفيد سيد، الخيال العلمي مقدمة قصيرة، تر: نيقين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي للنشر، ط/01، القاهرة–مصر، 2016.
3. روبرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسن حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، 1996.
4. رينهارت بيتر آن دوزي: تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، ط/01، 1989.
5. فريدريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية نشأتها مناهج دراستها فنيتها، تر: نبيلة إبراهيم، دار القلم، ط/1، بيروت–لبنان، 1983.
6. كيث بوكر وآن ماري توماس: المرجع في روايات الخيال العلمي، تر: عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، ط/1، القاهرة–مصر، 2010.

الكتب العربية:

1. أحمد محمد عبد الخالق: استخبارات الشخصية، دار المعرفة الجامعية، ط/03، الإسكندرية–مصر، 2000.
2. أمينة محمد برانين: فضاء الصحراء في الرواية العربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط/01، عمان–الأردن، 2011.
3. بدري عثمان: بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبان، 1986.
4. بهاء الدين محمد مزيد: النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط/01، مصر، 2007.
5. جابر عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي، دار لنهضة العربية، القاهرة–مصر، 1981.

6. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط/01، بيروت–لبنان، 1991.
7. سمر روحي الفيصل: أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية، دراسة من منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ب)، 1998.
8. سمير الديوب: مجاز العلم دراسات في أدب الخيال العلمي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق–سوريا، 2016.
9. سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط/01، عمان–الأردن، 2006.
10. شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
11. صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق–سوريا، 1996.
12. عبد الناصر الشبراوي: أدب الخيال العلمي وقصص الأطفال، دار جوانا للنشر، مصر، 2014.
13. عصام البهى: الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم، مكتبة الأسرة، مصر، 1999.
14. عمر أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط/01، مصر، 2008.
15. عوض محمد حسان، حسن أحمد شحاتة: البيئة ومشكلات التلوث، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 2017.
16. محمد العبد: البحث عن المغزى تجارب في قراءة النص، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة–مصر، 2012.
17. محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، ط/01، الجزائر، 2010.

18. محمود قاسم: الخيال العلمي أدب القرن العشرين، الدار العربية للكتاب، مطبعة سياك، تونس، 1993.

19. مفيد محمد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، ط/1، بيروت–لبنان، 1981.

20. مها مظلوم خضر: الراوي في روايات الخيال العلمي في الأدب المصري المعاصر – ضمن أدب الخيال العلمي، يرمم مطبوعات مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، مصر، 1999.

21. نبيل راغب: موسوعة النظريات العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط/01، مصر، 2003.

22. نجم العزاوي، عبد الله حكمت النقار: إدارة البيئة نظم ومتطلبات وتطبيقات ISO 14000، دار المسيرة، ط/01، عمان–الأردن، د.ت.

23. نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر "الاتباعية –الرومانسية – الواقعية – الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.

24. هاشم مرغني: بنية الخطاب السردي في القصة القصيرة، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط/01، الخرطوم–السودان، 2008.

25. هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، ط/01، دمشق–سوريا، 2008، ج/20.

26. يوسف الشاروني: الخيال العلمي في الأدب العربي حتى نهاية القرن العشرين، مكتبة الأسرة، القاهرة–مصر، 2002.

الرسائل الأكاديمية:

أطروحات:

1. أمال محمد بدوي: فاعلية استخدام الخيال العلمي في تدريب الأطفال على التفكير العلمي وتنمية قيمهم العلمية، أطروحة دكتوراه في تربية الطفل، كلية البنات، جامعة عين الشمس، مصر، 1996.
2. محمد عبد الله الياسين: الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، أطروحة دكتوراه منشورة في اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، فلسطين، 2008.

ماجستير:

1. علاء أمين المفتي: أثر قصص الخيال العلمي في تنمية مهارات التفكير لدى الأطفال، رسالة ماجستير في تخصص تربية الطفل، كلية التربية، جامعة عين الشمس، مصر، 2004.

المقالات الأكاديمية:

1. آدامي خميسي: من أجل لغة خضراء– محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، مجلة الآداب واللغات أبوليوس، ع/02، الجزائر، 2021.
2. أسامة بلرهمي: الإنسانية في ميزان الشرع، مجلة دراسات اجتماعية، ع/02، الجزائر، 2020.
3. أسماء سالم، أحمد بن عفيف: طبيعة القيم دراسة مقارنة بين الإسلام والفلسفات الوضعية، مجلة الدراسات العربية، كلية المنيا، مصر، 2022.
4. أسماء عبد الرحيم تكروني محمد: بناء الشخصية في روايات جيل الثمانينات دراسة في نماذج مختارة، مجلة الدراسات العربية، ع/05، مصر، 2022.

5. بوعافية أحمد: بنية الشخصية في السرد من منظور النقد المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع/03، الجزائر، 2022.
6. حمزة عمر عثمان الداودي: الصراع الداخلي والتحول الاجتماعي استكشاف البنية الروائية والأبعاد الإنسانية في رواية التوت المر، المجلة العراقية، ع/03، العراق، 2024.
7. رائد سهيل الحلاق: النزعة الإنسانية في الثقافة العربية طبيعتها ومظاهرها، مجلة حوليات التراث، ع/16، سوريا، 2016.
8. صياد مليكة: بين أدب الطبيعة والأدب البيئي –تعيين الفروق ورسم الحدود–، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، ع/01، الجزائر، 2026.
9. عبد الكريم لطفي: أدب الخيال العلمي في التراث الشعبي العربي قراءة في كتاب الخيال العلمي في الأدب لمحمد عزام، مجلة الآداب واللغات، ع/01، الجزائر، 2024.
10. منيف سعد جاسم: أنماط الشخصيات في رواية "وحدها لا تموت" للكاتب العراقي سعد جرجيس سعيد، المجلات الأكاديمية العلمية، ع/03، العراق، 2024.
11. يمينة براهمي، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "الصدمة" لياسمينة خضرا أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، ع /01، الجزائر، 2021.

الندوات والمؤتمرات:

1. أحمد ذيب: مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري، ورقة بحثية مقترحة بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة، الندوة العلمية الدولية الحادية عشر إنسانية الإنسان في السنة النبوية، يومي 8–9 مارس 2023، جامعة الوصل، الإمارات.

المراجع الإلكترونية:

1. رشا أحمد: تجليات الطبيعة في الرواية العربية (لم يتفق النقاد بسبب حداثة المصطلح على مفهوم باتّ ونهائي للنقد الإيكولوجي)، ثقافة وفنون، صحيفة الشرق الأوسط، القاهرة– مصر، على الموقع /https://aawsat.com :، نشر في يوم 27–11–2023، وتم الولوج إليه يوم :
2. محمد عبد الله القواسمة: الرواية والطبيعة، مجلة الأنطولوجيا، على الموقع : https://alantologia.com/
3. نور ضياء فالح: أنماط الصراع في شخصيات رواية "امرأة الظل" لعبد الرضا صالح محمد دراسة تحليلية وفق منظور اجتماعي – نفسي، صحيفة المثقف

فهرس المحتويات

فهـــــرس المحتويـــــــات

شكر وعرفان.....

إهداء .....

مقدمة.....أ

الفصل الأول: الإطار النظري لأدب الخيال العلمي

المبحث الأول: الخيال العلمي وأبعاده.....6

المطلب الأول: تعريف الخيال العلمي.....6

- لغة.....6
- اصطلاحا.....7
- تعريف الخيال العلمي.....8
- خصائص وسمات أدب الخيال العلمي.....10

المطلب الثاني: تمييزه عن الأنواع الأدبية الأخرى.....12

- تمييزه عن الفنتازيا.....12
- تمييزه عن الأسطورة.....13
- تمييزه عن القصة العلمية.....13
- تمييزه عن الخرافة.....14
- أبعاد الخيال العلمي.....15

المبحث الثاني: البعد الإنساني في الأدب.....17

المطلب الأول: مفهوم البعد الإنساني في الأدب.....17

- لغة.....17
- اصطلاحا.....17

فهـــــرس المحتويـــــــات

- أهميته في الرواية والأدب المعاصر.....18

المطلب الثاني: مظاهر البعد الإنساني في الرواية.....21

المبحث الثالث: البعد البيئي في الأدب.....24

المطلب الأول: مفهوم البعد البيئي في الأدب.....24

- لغة.....24

- اصطلاحا.....24

المطلب الثاني: تجليات البعد البيئي في الرواية.....27

- وصف الأرض والطبيعة.....27

- البيئة الاجتماعية.....28

الفصل الثاني: التحليل التطبيقي للأبعاد الإنسانية والبيئية في الرواية

المبحث الأول: تحليل الشخصيات من منظور إنساني (دراسة الشخصيات الرئيسية والثانوية في الرواية) 30

- الشخصيات الرئيسية..... 31

- الشخصيات الثانوية 40

المبحث الثاني: تحليل البعد البيئي في الرواية.....45

- الكوكب الجديد.....45

- الكوكب القديم.....50

المبحث الثالث: الربط بين البعد الإنساني والبيئي في الرواية.....56

خاتمة.....60

قائمة المصادر والمراجع.....62

ملخص.....

فهـــــرس المحتويـــــــات

ملخص:

تناولت هذه الدراسة رواية "العودة إلى الأرض" لعبد الهادي سعدون في إطار أدب الخيال العلمي، من خلال مقاربة تجمع بين البعد الإنساني والبعد البيئي، وذلك في ظل التحولات العميقة التي يشهدها الأدب الروائي المعاصر بفعل التطور العلمي والتكنولوجي المتسارع. وقد انطلقت الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: كيف تجلى البعدان الإنساني والبيئي في الرواية، وكيف أسهم الخيال العلمي في بناء رؤية نقدية تستشرف مستقبل الإنسان وعلاقته بالأرض؟ وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من أجل تتبع مظاهر هذه الأبعاد داخل النص الروائي، والكشف عن دلالاتها الفنية والفكرية. وتوزعت الدراسة على فصلين؛ تناول الأول الإطار النظري للموضوع أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا، وقد خلصت الدراسة إلى أن الخيال العلمي أدب يسهم في طرح أسئلة الوجود والهوية والمصير. كما بينت النتائج أن البعد الإنساني في الرواية يتجلى من خلال صراع الإنسان مع ذاته ومع التحولات التي فرضها التطور التكنولوجي ومن خلال طبيعة العلاقات التي تربط الشخصيات، حيث يسود بينها الترابط والتكافل والتعاون في مواجهة الظروف المحيطة بها، في حين يظهر البعد البيئي بشكل واضح من خلال تصوير تدهور الأرض وما يترتب عنه من أزمات وجودية. كما أكدت الدراسة أن العلاقة بين الإنسان والأرض علاقة وجودية متبادلة، تقوم على التفاعل والتأثير، كما أبرزت النتائج أن التطور التكنولوجي رغم إيجابياته، قد يحمل مخاطر عميقة تهدد التوازن الإنساني والبيئي إذا ما غابت القيم الأخلاقية والوعي المسؤول. لذلك فإن حماية الأرض والحفاظ على البيئة مسؤولية إنسانية وأخلاقية مشتركة، تفرضها طبيعة الحياة واستمرار الوجود البشري.

الكلمات المفتاحية: خيال علمي – بعد إنساني – بعد بيئي – رواية – إنسان – أرض.

Abstract:

This study analyzes “The Return to Earth” by Abdul Hadi Saadoun within science fiction literature, focusing on both the human and environmental dimensions amid rapid scientific and technological change. It explores how these dimensions are represented in the novel and how science fiction offers a critical vision of humanity’s future and its relationship with the Earth. Using a descriptive-analytical approach, the study finds that science fiction raises key questions about existence, identity, and destiny. The human dimension appears in inner struggles and relationships marked by solidarity and cooperation, while the environmental dimension is reflected in environmental degradation and its existential consequences. The study also highlights the reciprocal relationship between humans and the Earth, and stresses that technological progress, despite its benefits, may pose serious risks without ethical awareness. It concludes that protecting the Earth is a shared human responsibility essential for sustaining life.

Keywords: Science fiction – Human dimension – Environmental dimension – Novel – Human – Earth.